وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة قاصدي مرباح – ورقلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

جمالية الصورة التشبيهية في الحديث النبوي الشريف،نماذج من أحاديث صحيح البخاري

مذكرة تخرج من متطلبات شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص :لسانيات عربية

من إعداد الطالبة :

حياة جبالي

إشراف الأستاذ:

د. عبد القادر بقادر

نوقشت يوم : 2019/06/22

أعضاء لجنة المناقشة:

اسم ولقب الأستاذ (ة)	الصفة
د. عبد الناصر مشري	رئيسا
د. عبد القادر بقادر	مشرفا ومقررا
د. عبد القادر البار	مناقشا

الموسم الجامعي 2018 /2019

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة قاصدي مرباح – ورقلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

جمالية الصورة التشبيهية في الحديث النبوي الشريف، نماذج من أحاديث صحيح البخاري

مذكرة تخرج من متطلبات شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص : لسانيات عربية

من إعداد الطالبة :إشراف الأستاذ:

حياة جبالي د. عبد القادر بقادر

أعضاء لجنة المناقشة:

اسم ولقب الأستاذ (ة)	الصفة
د. عبد الناصر مشري	رئيسا
د. عبد القادر بقادر	مشرفا ومقررا
د. عبد القادر البار	مناقشا

الموسم الجامعي:2018 /2019

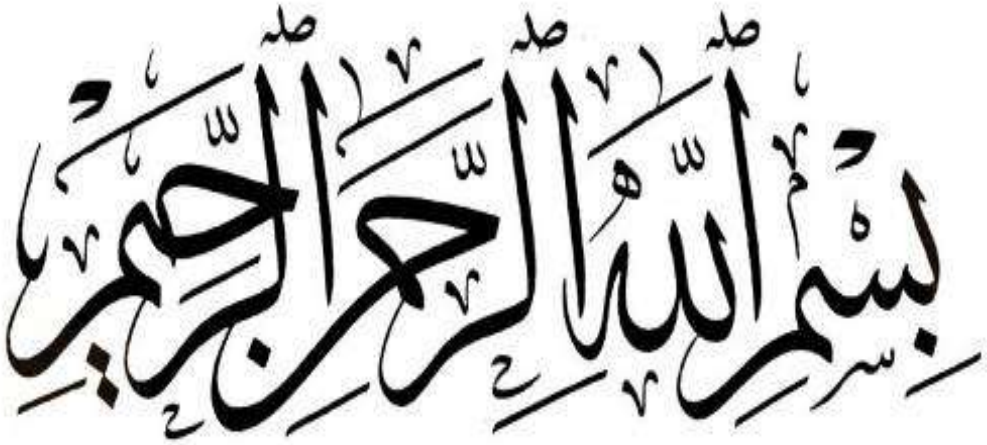

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

سورة التوبة الآية: 105

إهـداء

أهدي ثمرة جهدي إلى أعز ما في الكون بعد الله عزوجل

الوالدين الكريمين الذين رافقاني بدعمهما المعنوي والمادي طيلة مراحل حياتي الدراسية

إلى زوجي

إلى أبنائي: لحبيب وملاك

إلى ابن أختي الغالي: احمد عدنان

إلى إخواني من صغيرهم إلى كبيرهم

إلى جميع الأهل والأصدقاء

إلى كل الأساتذة الأحباء

إلى كل من قرأ بحثي فاستفاد

شكر وعرفان

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾

النمل ـ 19 ـ

أتقدمبالشكرالجزيلوالامتنانالكبيرإلىكلمنمدليدالعون،معترفةبالفضلوالجميلوخاصةالدكتورعبدالقادربقادرعلىتوجيهاتهالدا
ئمةوإلىأساتذةقسماللغةوالأدبالعربيبالجامعةوأعضاءلجنةالمناقشةالذينتحملواعناءقراءةالمذكرةوتصحيحأخطائهاوكلمندعم
.نيوأعاننيمنالأهلوالأصدقاء

مقدمة

مقدمة:

الحمد الله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن سار على نهجه واقتفىأثره يوم الدين:

إنالبيانالنبوياتسمبالتصويرالفنيوالتشبيهالموضح،ممايدلعلىموهبةإلهيةمنحهااللهتعالىلنبيهومي زهبهاعنسائرخلقه،لتبليغالرسالة،بأحسنتعبيروأسلوبتصويريبديعتدركهالعقولوتتأثربهاالقلوب،فهيتقوم علىتجسيمالمعنوياتالمجردةفيصورةحسيةمجسمة،وذلكعنطريقالخيال،وهذاالتقريبالمعانيإلىأذهانالسام عينوالاستحواذ علىقلوبهم .

التصويربهذاالأسلوبفيالبيانالنبوييبلغالغايةمنالجمالوالدقة،فهويفيدالمعانيتقريراويزيدهاتأكيدا مالايدعللمتلقيمجالاللنسيان.

ومن هنا كان اختياري لهذا الموضوع بعنوان جمالية الصورة التشبيهية في الحديث النبوي الشريف، نماذج من أحاديث صحيح البخاري.

ويهدف هذا البحث إلى الكشف عن عجائب الصورة التشبيهية وجمالياتها وأسرارها في البيان النبوي.

ويطرح هذا الموضوع إشكالية عامة تمثلت في ما يلي:

فيم تتجلى جمالية البيان النبوي من خلال الصورة التشبيهية؟

ويندرج ضمن هذا التساؤل عدة أسئلة فرعية منها:

- هل للخيال دور في إبرازها في صورة حسية؟
- ما وظيفتها في إبلاغ الحديث النبوي؟
- ما مدى تأثيرها في نفسية المتلقي؟

وللإجابة عن التساؤلات المطروحة والتوصل إلى إثبات صحة النتائج المفترضة صممت خطة البحث الآتية:

انتظمت بتقسيم خطة البحث إلى: تمهيد نبين فيها أهم سمات البلاغة النبوية وفصلين وخاتمة.

يتناول الفصل الأول الجانب النظري ويرتكز على مفهوم الصورة التشبيهية ووظيفتها وخصائصها الفنية،و يتكون من ثلاثة مباحث هي الأول: مفهوم الصورة لغة واصطلاحا، والثاني: تطرقنا إلى مفهوم الصورة التشبيهية وأهم وظائفها، أماالثالث: فذكرنافيه أهم خصائص التصوير الفني في الحديث النبوي.

والفصل الثاني: يتناول الجانب التطبيقي ويتكون من مبحثين، الأول: مفهوم الحديث النبوي وتعريف راوي الحديث، أما الثاني: فيرتكز على نماذج من الأحاديث النبوية التي تبرز جماليات التصوير الفني من خلال الصورة التشبيهية.

وفي الأخير ختمنا بأهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذه الدراسة.

ولقد اقتضت طبيعة الموضوع في هذه الدراسة إتباع المنهج الأسلوبي الوصفي، فهو منهج يقف عند جماليات الصورة التشبيهية في الحديث النبوي الشريف، ويفسر هذا المنهج بالأثر الذي تتركه هذه الصورة عند المتلقي، بعد إبراز أهم ملامح التصوير الفني في البيان النبوي.

كما قد استفدنا من بعض الرسائل الجامعية والمقالات التي سبقت بحثنا هذا مثل:

1- عبد الرحيم ثابت، "الظواهر البلاغية في الأحاديث النبوية دراسة تطبيقية في كتاب عمدة القارئ للعيني نموذجا"،رسالة دكتوراه، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

2-مقاللالدكتور فائز طه عمر،"بلاغة التشبيه في الحديث النبوي في صحيح البخاري"،مجلة جامعة تكريتللعلوم ، المجلد(20)، العدد الأول، كانون الثاني .

3- مقال للدكتور عبد السلام عطوة الفندي، "الصورة التشبيهية في السنة النبوية"، مجلة الفرقان،جامعة العلوم التطبيقية الخاصة، عمان الأردن.

وقد استعنت في بحثي هذا بمجموعة من المصادر والمراجع أهمها:

- "نظرية التصوير الفني عند سيد قطب"لصلاح عبد الفتاح الخالدي.
- "التصوير الفني في القرآن الكريم" لسيد قطب، السمو الوحي الأعظم والجمال الفني في البلاغة النبوية"، لمصطفي صادق الرافعي.
- "الحديث النبوي من الوجهة البلاغية"، لكمال عز الدين.

بالإضافة إلى كتب الشروحات منها:"عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري" لـ: أحمد العيني، "منار القارئ شرح مختصر صحيح البخاري" لـ: حمزة محمد قاسم.

ولا يسعني أخيرا إلا أن أحمد الله رب العالمين الذي بنعمته تتم الصالحات، ويسرني أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان للأستاذ الفاضل المشرف الدكتور "عبد القادر بقادر" حفظه الله، على ما قدمه لي من توجيهات ونصائح كان لها دور في إنجاز هذا البحث المتواضع، كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من قدم لي يد المساعدة العلمية إلى جميع الأساتذة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تمهيد:

يعد الجمال الفني في كلام الرسول صلى الله عليه وسلم، كلاما كلما زدته فكرا زادك معنى، وتفسيره قريب كالروح في جسمها البشري، ولكنه كالروح في سرها الإلهي، فهو معك على قدر ما أنت معه، إن وقفت على حدوقف، وإن مددت مد، وما أديت به تأدى، وليس فيه شيء مما تراه لكل بلغاء الدنيا من صناعة عبث القول، وطريقة تأليف الكلام، واستخراج وضع من وضع، والقيام على الكلمة حتى تبيض كلمة أخرى، والرغبة في تكثير سواد المعاني وترك اللسان يطيش طيشه اللغوي يتعلق بكل ما عرضه له، ويحذر الكلام على معاني ألفاظه، ويجتلب له منها ويستكرهما على أغراضه[1]... إنما هو كلام قيل لتصير به المعاني إلى حقائقها فهو من لسان وراءه قلب، وراءه نور، وراءه الله (جل جلاله)، وهو كلام في مجموعه كأنه دنيا أصدرها صلى الله عليه وسلم عن نفسه العظيمة، فكلامهيجرى مجرى عمله كله دينا وتقوى وتعليما، وكله روحانية وقوة وحياة

[1]– ينظر: مصطفى صادق الرافعي، السمو الروحي الأعظم والجمال الفني في البلاغة النبوية، تح: أبي عبد الرحمن البحيري، ووائل بن حافظ بن خلف، دار البشير للثقافة والعلوم، ص ص 27–28.

الفصل الأول

مفهوم الصورة التشبيهية ووظيفتها

وخصائصها الفنية

المبحث الأول: مفهوم الصورة لغة واصطلاحا

مفهوم الصورة لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور مادة(ص،و،ر):"الصورة في الشكل، والجمع صور، وقد صوره فتصور، وتصورت الشيء توهمت صورته فتصور لي، والتصاوير: التماثيل في الحديث: أتاني الليلة ربي في أحسن صورة".

قال ابن الأثير: الصورة ترد في كلام العرب على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته، وعلى معنى صفته، يقال صورة الفعل كذا وكذا أي هيئته، وصورة الأمر كذا وكذا أي صفته، فيكون المراد بما جاء في الحديث أنه أتاه في أحسن صفة، ويجوز أن يعود المعنى إلى النبي صلى الله عليه وسلم: أتاني ربي وأنا في أحسن صورة.

وتجري معاني الصورة كلها عليه، إن شئت ظاهرها أو هيئتها أو صفتها[1].

في معجم متن اللغة عرفت الصورةبأنها :"الشكل والهيئة، الوجه الحقيقة، الصفة والنوع ج، صور وتكسر الصاد وصور وأصلها من صاره إذا أماله لأنها مائلة إلى هيئته بالشبه لها"[2].

[1]–محمد ابن مكرم ابن علي ابو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب دار صادر، بيروت، ط3 1414 هـ مادة (ص، و، ر)، ج4، ص 473.

[2]– أحمد رضا، متن اللغة دار مكتبة الحياة، بيروت ، (1985–1960 م) ،مادة (ص، و، ر)، ج3، ص 514.

في معجم التعريفات للجرجاني عرف التصوربأنه :"هو إدراك الماهية من غير أن يحكم عليها بنفي أو إثبات، التصور: حصول صورة الشيء في العقل"[1].

فالإنسان إذا شاهد صورة ما، فإنه ينفعل بها، ويدركها إدراكا حسيا فالإدراك الحسي هو"الأثر النفسي الذي ينشأ مباشرة من انفعال حاسة أو عضو حاس... وهو يعني الفهم أو التعقل بواسطة الحواس، وذلك كإدراك ألوان الأشياء وأشكالها وأحجامها وأبعادها بواسطة البصر..."[2].

إذن التصور هو:"استحضار صور المدركات الحسية عند غيبتها عن الحواس، من غير تصرف فيها بزيادة أو نقص أو تغيير أو تبديل"[3].فالتصور هو مرور الفكر بالصورة الطبيعية التي سبق أن شاهدها وانفعل بها، ثم اختزنها في مخيلته، أما التصوير فهو إبراز هذه الصور إلى الخارج بشكل فني.

فالتصور إذا هو العلاقة بين الصورة والتصوير وأداته الفكر فقط، وأما التصوير فأداته الفكر واللسان واللغة[4].

[1]– الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، 1983م، ص 52.

[2]– صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، دار الشهاب باتنة، 1982م، ص 74.

[3]– المرجع نفسه، ص 69.

[4]– المرجع نفسه، ص 74.

مفهوم الصورة اصطلاحا:

يشير مصطلح التصوير إلى تجسيد المعنوي في صورة (شكل أو هيئة) حسية، والتي تشير فيها كلمة التصوير إلى رسم لوحة أو تشكيل تمثال، وفي هذه الحالة يصبح معنى الصورة مرادفا للوحة المرسومة وتصبح صيغة الجمع الخاصة بها تصاوير تمييزا لها[1].

فالصورة في الأدب تستعمل عادة للدلالة على كل ماله صلة بالتعبير الحسي، وتطلق أحيانا مرادفة للاستعمال الاستعاري للكلمات، فمصطلح الصورة استعمل حديثا في عالم الأدب والبلاغة والنقد، ولقد كان العرب في السابق يستعملون لفظ الاستعارة للدلالة على بعض ما تدل عليه كلمة الصورة الآن، ومدلولها يتسع حيث يشمل مدلول بعض الألفاظ مثل التشبيه والكناية والمجاز[2].

مفهوم التصوير عند الرماني (ت 386 هـ) لقد توقف الرماني أمام مشكلة الإعجاز وحاول أن يربط جانبا منها ببلاغة النص القرآني وطريقته الفذة في تقديم المعنى إلى المتلقي، فالتصوير عنده هو تجسيد المعنويات في صورة المحسوسات التي ترى بالإبصار بحيث طبقها على القرآن الكريم من خلال الاستعارات والتشبيهات، وبهذا تتضح معالم التصوير شيئا فشيئا، وتقوم الصورة البلاغية بنقل المعنى المجرد إلى الحس العيني، ومن الأمثلة التصوير الذي ورد في القرآن الكريم نذكر منه استعارات في وصف نار جهنم

[1]– ينظر :جابرعصفور،الصورةالفنيةفيالتراثالنقديوالبلاغيعندالعرب،المركزالثقافيالعربي،ط3، 1992، ص 162.

[2]– صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، ص 75.

﴿تَكَادُتَمَيَّزُمِنَالْغَيْظِ﴾ أبلغ من أي تعبير لأن مقدار شدة الغيظ على النفس محسوس، ولم يخرج الرماني من الإطار الحسي، حيث يتعامل مع فكرة التصوير بشكل جزئي ضيق، ومن خلال قصرها على أنماط الاستعارة والتشبيه فحسب، مع أن الفكرة يمكن أن تكون أعم من ذلك وأشمل لو نظرنا إلى الأسلوب القرآني كله على أنه أسلوب تصويري، يقوم على مخاطبة الخيال والوجدان، مثلما يقوم على مخاطبة العقل والرؤية[1].

عرف عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) الصورة:"وأعلم أن قولنا (الصورة) إنما هو تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا، فلما رأينا البينونة بين آحاد الأجناس تكون من جهة الصورة، فكأن تبين إنسان من إنسان وفرس من فرس، بخصوصية تكون في صورة هذا لا تكون في صورة ذاك، وكذلك كأن الأمر في المصنوعات، فكأن تبين خاتم من خاتم وسوار من سوار، ثم وجدنا بين المعني في أحد البيتين وبينه في الآخر بينونة في عقولنا وفرقا، عبرنا عن ذلك الفرق وتلك البينونة بأن قلنا: (للمعنى في هذا صورة غير صورته في ذلك)"[2].

أما الزمخشري (ت 538 هـ) لم يقتصر في تعامله مع فكرة التصوير على الاستعارة والتشبيه في تفسير القرآن، بل رأى أن المسألة أعم وأشمل من مجرد المشابهة، فقد اهتم بطبيعة

[1]– ينظر: جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ص ص 265–268.

[2]– عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر ابو فهر، مكتبة الخانجي، مطبعة المدني بالقاهرة، ط3 (1413 هـ–1992م) ص 508.

التقديم الحسي ذاتها، وجعله يلح على استخدام مصطلحات أهم يمكن أن يندرج تحتها التشبيه والاستعارة مثل التصوير والتمثيل والتخيل، فهذه المصطلحات لها دلالتها السلبية والإيجابية فالدلالة السلبية فإنها تشير إلى أن الزمخشري كان يعاني من عدم وجود مصطلح دقيق محدد، ويستشعر نوعا من الاضطراب والتعدد في دلالة المصطلحات، أما عن الدلالة الإيجابية، فإنها تشير إلى معاناة الزمخشري في القبض على فكرة التقديم الحسي في القرآن، والسيطرة عليها وتوضيحها بأقصى ما يستطيع، و أن توضيح هذه الفكرة يمكن أن يحل مشاكل كثيرة على مستوى العقيدة... يمكن له أن يوضح أن التقديم الحسي للمعنى القرآني أسلوب أعم من التشبيه والاستعارة، وأن الصور الحسية لا تستعمل في هذا الأسلوب على جهة الحقيقة أو على جهة المجاز، وإنما هي تصوير للمعنى وتمثيل له في مخيلة المتلقي فحسب، ويمكن توضيح ذلك بتفسير الزمخشري لقوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾[1]، إذ يقول: "والغرض من هذا الكلام، إذا أخذته كما هو بجملته ومجموعه تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله، لا غير، من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين إلى جهة حقيقة أو جهة المجار"[2].

[1] – سورة الزمر: الآية 67.

[2] – الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط3، 2009م، ص 947.

ذكر ابن الأثير(ت637هـ): كلمة الصورة على خصوص الأمر المحسوس وقابل بينهما وبين المعنى فقال، وهو يعدد أقسام التشبيه :إما تشبيه صورة بصورة كقوله تعالى: ﴿وَعِندَهُمْقَاصِرَاتُالطَّرْفِعِينٌ، كَأَنَّهُنَّبَيْضٌمَّكْنُونٌ﴾[1]، إما تشبيه معنى بصورة كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَكَفَرُواأَعْمَالُهُمْكَسَرَابِبِقِيعَةٍ﴾[2]، وهذا القسم أبلغ الأقسام الأربعة، لتمثيله المعاني الموهومة بالصور المشاهدة، وإما تشبيه صورة بمعنى كقول أبي تمام:"وفتكت بالمال الجزيل وبالعدا فتك الصبابة بالمحب المغرم"، وهو فتك معنوي، وهذا القسم ألطف الأقسام الأربعة، لأنه نقل صورة إلى غير صورة[3].

لقد توقف الرماني عند الاستعارة والتشبيه في القرآن الكريم باعتبارهما أدوات أو وسائل للتقديم الحسي للمعنى.

ولعل هذا النص يوضح الفرق بين الرماني والزمخشري، ويكشف أن الاهتمام عند الزمخشري لا ينحصر في طبيعة العلاقة بين أصل المعنى وحقيقة وبين صورته المجازية، وإنما يتركز الاهتمام على طريقة التمثيل ذاتها... وتشير دلالة استخدام هذه المصطلحات (التصوير والتخيل والتمثيل) إلى جانبين متداخلين، يفصل بينهما لمجرد التوضيح أما أولهما

[1]– سورة الصافات: الآيتان 48–49.

[2]– سورة النور، الآية 39.

[3]– ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد الحوفي، دار نهضة مصر، ط2، القسم الثاني (في الصناعة المعنوية) ص ص 127– 128.

فهو متصل بتقديم المعنوي المجرد من خلال الحسي العيني،و أما الجانب الثاني فهو متصل بما نسميه الآن بالتشخيص، وهو يقوم على خلع الإنساني، أو إضفاء الخصال البشرية على أشياء أو كائنات غير إنسانية سواء كانت حية أو جامدة، معنوية أو غير معنوية، فقد كان هدف الزمخشري هو إظهار بلاغة القرآن، وردها إلى تصوير المعنى بالحس، وهو أمر يؤدي بطرائق متنوعة[1].

يمكن أن نفهم من الزمخشري في قوله:"التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها لأنه بمنزلة التصوير والتشكيل لها"، أو قوله: "إن التمثيل إنما يصار إليه فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب، وإدناء المتوهم من المشاهد"[2].

فالتمثيل له شأن كبير في إبراز خبايا المعاني، ورفع الستار عن الحقائق، كأنها يشاهدها.

وعلى هذا الأساس يمكن للزمخشري أن يفسر قوله تعالى: ﴿مَّثَلُالَّذِينَيُنفِقُونَأَمْوَالَهُمْفِيسَبِيلِاللَّهِكَمَثَلِحَبَّةٍأَنبَتَتْسَبْعَسَنَابِلَ﴾[3]، بأنه نوع من التمثيل يقصد به "تصوير للأضعاف كأنها ماثلة بين عيني الناظر".

[1]– ينظر: جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ص 267–268.

[2]– المرجع نفسه، ص 269

[3]– سورة البقرة: الآية 261.

يفسر قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِالْيَهُودُيَدُاللَّهِمَغْلُولَةٌغُلَّتْأَيْدِيهِمْوَلُعِنُوابِمَاقَالُوابَلْيَدَاهُمَبْسُوطَتَانِ﴾[1]، على أساس أن غل اليد وبسطها تمثيل وتصوير، شأن قولك "بسط اليأس كفيه في صدره، فجعلت لليأس الذي هو من المعاني لا من الأعيان كفان وهو أمر يوضحه ابن المنير السني، بقوله إن الآية تقوم على"تصوير الحقيقة المعنوية بصورة حسية تلزمها غالبا، ولاشيء أثبت من الصور الحسية في الذهن، فلما كان الجود والبخل معنويين لا يدركان بالحس ويلازمها صورتان تدركان بالحس، وهما بسط اليد وقبضها للبخل، عبر عنهما بلازمها لفائدة الإيضاح والانتقال من المعنويات إلى المحسوسات، لقد ركز الزمخشري على الجانب البصري بمفرده في سياق رصده لمواضع التصوير في القرآن، ولعل إلحاح الزمخشري على الكلمات والأفعال والصفات المرتبطة بالإحساسات البصرية، ينم عن تركيزه على نسميه الآن بالصورة، كأن الإحساسات التي يمكن أن تثيرها الصورة القرآنية في مخيلة المتلقي إنما هي إحساسات بصرية فحسب، وليس ثمة إحساسات سمعية أو شمية أو لمسية أو ذوقية أو حركية[2].

ويرى جابر عصفور أن الصورة "هي طريقة خاصة من طرق التعبير، أو وجه من أوجه الدلالة، تنحصر أهميتها فيما تحدثه في معنى من المعاني من خصوصية وتأثير ولكن

[1]–سورة المائدة: الآية 64.

[2]– ينظر: جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ص ص 270–271.

أيا كانت هذه الخصوصية أو ذاك التأثير، فإن الصورة لن تغير من طبيعية المعنى في ذاته، إنها لا تغير إلا من طريقة عرضه، وكيفية تقديمه"[1].

فالصورة عنده عرض أسلوبي يحافظ على سلامة النص من التشويه، ويقدم المعنى بتعبير رتيب، وهي بعد طريقة لاستحداث خصوصية التأثير في ذهن المتلقي بمختلف وجوه الدلالة التي يستقيها من النص في منهج تقديمه، وكيفية تلقيه، وما يحدثه ذلك عنده من متعة ذهنية، أو تصور تخييلي نتيجة لهذا الغرض السليم[2].

فالصورة مدلول يشمل العبارة أي الأسلوب، والخيال الذي يكون العاطفة ويصورها، وإذا أردنا تعريفا محددا للصورة الأدبية قلنا إنها :"تجسيم لمنظر حسي أو مشهد خيالي، يتخذ اللفظ أداة له، وهناك بالإضافة إلى التجسيم اللون والظل، أو الإيحاء والإطار، وكلها عوامل لها قيمتها في تشكيل الصورة وتقويمها"[3].

إن الأديب الفنان يستخدم التعبير لتصوير التجربة الشعورية التي مرت به وللتأثير في شعور الآخرين بنقل هذه التجربة إلى نفوسهم في صورة موحية، مثيرة لانفعالهم... فالتعبير

[1]– المرجع السابق ، ص 326.

[2]– ينظر:محمد حسين علي الصغير، نظرية النقد العربي رؤية قرآنية معاصرة، الناشر دار المؤرخ العربي ط1، 1420هـ، ص 21.

[3]– المذاهب النقدية للدكتور ماهر فهمي، ص 204، نقلا عن صلاح عبد الفتاح الخالدي ، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، ص 75.

ليس ألفاظا وعبارات فقط، ولكنه هو العمل الأدبي الكامل باعتبار ما يصوره من التجارب الشعورية[1].

أما عناصر الصورة في المقياس التصويري فهي:

1-**التكامل:** هو القدرة على رسم الصورة بكل جزئياتها الصغيرة التي لا يلتفت إليها الإنسان العادي.

2-**الزاوية:** هي المسافة والموضع الذي يحددهما الشاعر لينظر إلى صورته، ولهما دلالتهما الخاصة على نفسية الشاعر، وقدرتها على التأثير، فمن خلالها قد تتبدل ملامح الصورة.

3-**الإيحاء:** هو بمثابة الظل لدى المصور، فالصورة لابد أن تكون لها إيحاءاتها وإلا فقدت أقوى تأثيرها، والمصور عن طريق الظل يرينا التعبيرات، والشاعر عن طريق لمساته الموحية يرينا كل التعبيرات.

4-**الترابط:** الترابط في الصورة ضروري، حتى لا تكون مجرد أشتات.

5-**الإطار:** يقصد به كل ما هو خارج عن رسم الصورة في صميمها، كالموسيقى متمثلة في الوزن والقافية، وتختلف أنواعه باختلاف الصورة نفسها فهو تابع لها[2].

---

[1]- عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني، ص ص 75-76.

[2]- ينظر:ماهر فهمي، المذاهب النقدية، ص ص 207-210، نقلا عن صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، ص 76.

فالتصوير إذا هو التعبير بالصور عن التجارب الشعورية التي مر بها الفنان، بحيث ترسم أمام القارئ الصورة التي أراد الفنان نقلها له، وتكون أداة التصوير هي الألفاظ والعبارات التي يعتمدها، والتعبير الذي يرسم للمعنى صورة أو ظلالا لا يخاطب الذهن وحده، وإنما يخاطب معه الحس والوجدان يثير في النفس شتى الانفعالات والأحاسيس[1]. نستخلص ان الصورة هي طريقة من طرق التعبير تقوم على التجسيم و التخييل فهي وسيلة من وسائل الترغيب و الترهيب لدى المتلقي .

[1]– صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، ص 77.

المبحث الثاني: مفهوم الصورة التشبيهية ووظيفتها

إن الأنواع البلاغية للصورة الفنية عديدة ومتنوعة، ومن الصعب في مثل هذا المقام أن نتوقف عندها جميعا، لأنه لا مفر في هذه الحالة من التكرار ما سيقال عن الكناية يمكن أن يقال عن الإرداف والتمثيل وما يقال عن التمثيل يمكن أن يقال عن التشبيه والاستعارة، وما يقال عن الاستعارة يمكن أن يقال عن المجاز بنوعيه فالتشبيه هو أكثر الأنواع البلاغية أهمية بالنسبة للناقد والبلاغي القديم والحديث عنه بمثابة مقدمة ضرورية لا يمكن تأمل الاستعارة والمجاز دونها[1].

الصورة التشبيهية في البيان النبوي:

عرف الرماني: التشبيه هو العقد على أحد الشيئين يسد مس الآخر في حس أو عقل ولا يخلو التشبيه من أن يكون في القول أو في النفس، فأما القول فنحو قولك زيد شديد كالأسد، فالكاف عقدت المشبه به بالمشبه، وأما العقد في النفس فالاعتقاد لمعنى هذا القول، وأما التشبيه الحسي فكمأين وذهبين يقوم أحدهما مقام الآخر ونحوه، وأما التشبيه النفسي فنحو تشبيه قوة زيد بقوة عمرو فالقوة لا تشاهد ولكنها تعلم، سادة مسدأخر فتشبه والتشبيه على وجهين تشبيه شيئين متفقين بأنفسهما، وتشبيه شيئين مختلفين لمعنى يجمعهما مشترك بينهما، فالأول كتشبيه الجوهر بالجوهر وتشبيه السواد بالسواد والثاني كتشبيه الشدة بالموت

[1]–ينظر: جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ص 171.

والبيان بالسحر الحلال، والتشبيه البليغ إخراج الأغمض إلى الأظهر بأداة التشبيه مع حسن التأليف[1].

عرفه الشريف الجرجاني: بأنه الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى، فالأمر الأول هو المشبه والثاني هو المشبه به، وذلك المعنى هو وجه التشبيه[2].

وقد اصطلح عليه علماء البيان بأنه هو الدلالة على اشتراك شيئيين في وصف من أوصاف الشيء في نفسه، فهو إما تشبيه مفرد كقوله صلى الله عليه وسلم:"إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا"الحديث شبه العلم بالغيث ومن ينتفع به الأرض الطيبة، ومن لا ينتفع به بالقيعان، فهي تشبيهات مجتمعة، أو تشبيه مركب كقوله صلى الله عليه وسلم:"إن مثلي ومثل الأنبياء من قبل كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة، فهذا هو تشبيه المجموع بالمجموع، لأن وجه الشبه عقلي منتزع من أمور فيكون أمر النبوة في مقابلة البنيان"[3].

عرفجابر عصفور:التشبيه علاقة مقارنة تجمع بين طرفين لاتحادهما أو اشتراكهما في صفة أو حالة، أو مجموعة من الصفات والأحوال، هذه العلاقة قد تستند إلى مشابهة في الحكم أو

[1]–ينظر: الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح: محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط3، ص ص 80–81.

[2]– الشريف الجرجاني , معجم التعريفات , تح : محمد صديق المنشاوي , دار الفضيلة و السنة ,1983 م ,ص 52.

[3]–المصدر نفسه ,ص 52.

المقتضى الذهني، الذي يربط بين الطرفين المقارنين، دون أن يكون من الضروري أن يشترك الطرفان في الهيئة المادية، أو في كثير من الصفات المحسوسة...، أن التشبيه قد يكون في الهيئة، وقد يكون في المعنى، وإنه قد يقع تارة بالصورة والصفة وأخرى بالحال والطريقة، وسواء أكانت المشابهة بين الطرفين تقوم على أساس الحس أو أساس العقل، فإن العلاقة التي تربط بينهما هي علاقة مقارنة أساسا، وليست علاقة اتحاد أو تفاعل"[1].

التشبيه يفيد الغيرية ولا يفيد العينية، بمعنى أن طرفي التشبيه وإن تعددت صفاتها المشتركة لا تتداخل معالمهما، ويوقع الائتلاف بين المختلفات ولا يوقع الاتحاد[2].

يقول الرماني: والأظهر الذي يقع فيه البيان بالتشبيه به على وجوه منها إخراج مالا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة وقوله عزوجل: ﴿مَّثَلُالَّذِينَكَفَرُوابِرَبِّهِمْأَعْمَالُهُمْكَرَمَادٍاشْتَدَّتْبِهِالرِّيحُفِييَوْمٍعَاصِفٍلَّايَقْدِرُونَمِمَّاكَسَبُوا عَلَىٰشَيْءٍ﴾[3]، فقد اجتمع المشبه والمشبه به في الهلاك وعدم الانتفاع والعجز عن الاستدراك لما فات، وفي ذلك الحسرة العظيمة والموعظة البليغة، ومنها إخراج ما لم تجر به عادة إلى ما قد جرت به عادة، لقوله عزوجل: ﴿إِنَّمَامَثَلُالْحَيَاةِالدُّنْيَاكَمَاءٍأَنزَلْنَاهُمِنَالسَّمَاءِفَاخْتَلَطَبِهِنَبَاتُالْأَرْضِ﴾[4]، وقد

[1]– ينظر:جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ص 172.

[2]– المرجع نفسه ص175.

[3]– سورة إبراهيم: الآية 18/14.

[4]– سورة يونس: الآية 24/10.

اجتمع المشبه والمشبه به في الزينة والبهجة ثم الهلاك بعد، وفي ذلك العبرة لمن اعتبر، والموعظة لمن تفكر في أن كل فان حقير وإن طالت مدته، ومنها إخراج مالا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم بالبديهة، لقوله عزوجل: ﴿وَجَنَّةٍعَرْضُهَاكَعَرْضِالسَّمَاءِوَالْأَرْضِ﴾[1]، في هذا البيان العجيب بما قد تقرر في النفس من الأمور والتشويق إلى الجنة بحسن الصفة مع مالها من السعة، وقد اجتمعا في العظم، ومنها إخراج مالا قوة له في الصفة إلى ماله قوة في الصفة كقوله عزوجل: ﴿خَلَقَالْإِنسَانَمِنصَلْصَالٍكَالْفَخَّارِ﴾[2]، وهذا تشبيه قد أخرج مالا قوة له في الصفة إلى ماله القوة وقد اجتمعا في الرخاوة والجفاف وإن كان أحدهما بالنار والآخر بالريح[3].

فالتشبيه والتمثيل أداة فطرية لإظهار ذهنية عند المتكلم لا يرى التعبير عنها كافيا في تصويرها في صورة أشد وضوحا، وأكمل أطرافا يزيد قياسا بها ومطابقتها لها تقرير المعنى وتأكيد الدلالة به، ومنها مالا تكمل دلالته، ولا تتمكن في النفس صورته، ولا يملك الحس والوجدان مدلوله، إلا بإخراجه هذا المخرج التصويري الذي تتعاون قوى النفس من فكل وخيال معا في إحكامه وبث الحياة فيه، فالبيان النبوي يتخذ من التصوير وسيلة كأداة ناجحة فعالة للوصول إلى هدفه من شغل الحس الظاهر والباطن، وامتلاك النفس بكل ما فيها، لأن هذه الوسيلة أقرب إليها، وهي بها أنس، ولها أمل، ولا سيما أن الرسالة التي جاء بها البيان

[1]– سورة الحديد: الآية 21/57.

[2]– سورة الرحمن: الآية 14/55.

[3]– الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ج،2 ص ص 82–85.

النبوي تجديد للقيم، وتعديل للمفاهيم[1]،فهي كوسيلة من وسائل الإيضاح التي يتذرع بعا المعلم لتقرير درسه بما لا يدع للتلميذ مجالا للنسيان، ولهذا نراه ظاهرة أسلوبيه واسعة الجوانب، بعيدة الغور في تعميق المعاني وتأثيرها في القلوب[2].

والتصوير بهذا الأسلوب في البيان النبوي يبلغ الغاية من الجمال والدقة ويتسع ويمتد ليشمل أمور الدنيا والدين، والحياة الحاضرة والحياة الخالدة.

وظائف الصورة التشبيهية:

من وظائف الصورة هي إقناع المتلقي بفكرة من الأفكار، أو معنى من المعاني، وفي هذه الحالة لا تصبح الصورة الوسيط الأساسي الذي يجسد الفكرة، بل تصبح الفكرة في جانب والصورة في جانب آخر، والإقناع له أساليبه المتنوعة التي تبدأ بالشرح والتوضيح، وتقترف بالمبالغة وتتصاعد حتى تصل إلى التحسين والتقبيح، فهي وسيلة للشرح والتوضيح.

فإذا كانت الصورة تساهم في عملية إقناع المتلقي، والتأثير فيه عن طريق شرح المعنى وتوضيحه، فإنها تحقق نفس الغاية عن طريق المبالغة في المعنى، والصلة بين المبالغة والشرح والتوضيح صلة وثيقة، ذلك أن المبالغة تعد وسيلة من وسائل شرح المعنى وتوضيحه، وعندما يراد بها مجرد تمثيل المعنى أو تأكيد بعض عناصره الهامة، والغاية من

[1]– ينظر: كمال عز الدين، الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، دار اقرأ بيروت، ط1، 1984م، ص 143.

[2]– المصدر نفسه، ص 155.

التمثيل هي المبالغة في الإيضاح والبيان حتى يصير الغائب كالحاضر والمتخيل كالمتحقق، والمتوهم كالمتيقن، فهي تتجاوز نطاق الإبانة وتصبح عرضا مستقلا بذاته، وأسلوبا متميزا من أساليب الصورة في التأثير في المتلقي[1].

الصورة الفنية وسيلة للتحسين والتقييح فإنها تؤدى إلى ترغيب المتلقي في أمر من أمور أو تنفيره منه ومن وظائف الصورة الوصف والمحاكاة، ولقد اقترن الوصف بالحرص على نقل جزئيات العالم الخارجي، وتقديمها في صورة أمينة تعكس المشهد وتحرص على تصوير المنظور الخارجي كل الحرص[2].

نستنتج أن الصورة هي عبارة عن وسيلة حتمية لإدراك نوع متميز من الحقائق، وتعجز اللغة العادية عن إدراكه أو توصيله، وتصبح المتعة التي تمنحها الصورة للمبدع قرينة الكشف، والتعرف على جوانب خفية من التجربة الإنسانية[3].

فالصورة هي وسيلة من وسائل الترغيب و الترهيب تقوم على التجسيم الفني لدى المتلقي و التاثيرفيه .

1- ينظر: جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ص 332-343.

2- المرجع نفسه، ص 362.

3- المرجع نفسه ,ص 383.

المبحث الثالث: خصائص التصوير الفني في الحديث النبوي الشريف

التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب النبوي، فهو يعير بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركة المتجددة، فإذا المعني الذهني هيئة أو حركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنساني شخص حي، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية، وأما الحوادث والمشاهد، والقصص والمناظر، فيردها شخصية حاضرة، فيما الحياة، وفيها الحركة، فإذا أضاف إليها الحوار فقد استوت لها كل عناصر التخييل[1].

من خصائص التصوير الفني في البيان النبوي هي: 1- التخييل الحسي، 2- التجسيم، 3- التناسق، 4- الحياة، 5- الحركة.

1-التخييل الحسي:

إن الخيال هو الميدان الذي تظهر فيه الصور الفنية، إن هذه الصور تعمل عملها في الخيال، وتدخل إليه عن طريق الحس والوجدان، وتثير في النفس شتى الانفعالات والأحاسيس والتأثيرات، وعندها يكون الخيال نشيطا خصبا، يكون اكتشافه للصورة الفنية أدق، وتذوقه لها أتم، وبيانه لها أوضح.

[1]- ينظر: سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق بيروت، ط3، 1983م، ص 36.

والبيان النبوي يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن مختلف الأغراض فيه ولذلك كان التخييل الحسي هو القاعدة الأولى التي تقوم عليها الصورة لإنها تدع الخيال يعمل فيها وفي جزيئاتها، ويتخيلها على مختلف الأشكال، كما تدع الحس يتحسسها ويتأثر بها[1].

ومن ألوان التخييل الحسي هي تخييل بالتشخيص فهو"يتمثل في خلع الحياة على المواد الجامد، والظواهر الطبيعية والانفعالات الوجدانية، هذه الحياة ترتقي فتصبح حياة إنسانية، وتشمل المواد والظواهر والانفعالات، وتهب لهذه الأشياء كلها عواطف آدمية وخلجات إنسانية..."[2].

وتصور مظاهر الوجود، وظواهر الطبيعية على هذا الشكل الحي، وهذه الصفة الإنسانية، يثير في القارئ أو المستمع، الكثير من معاني الجمال والانشراح، إذا يأنس بمن حوله، ويراهم شخوصا تدب وتتحرك، ويتخيلهم أناسي حوله، يتنفسون ويسيرون، ويريدون ويتكلمون... وهو لا يحس هذا الإحساس، ويتخيل هذا التخيل، لولا طريقة البيان النبوي الفريدة في التعبير، الطريقة التصويرية التخيلية التشخيصية، التي حولت هذه المواد الظاهرة، والظواهر الطبيعية إلى شخوص حية.

[1]– ينظر: صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، ص 131.

[2]– سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق بيروت، ط8، 1983م، ص 73.

والتشخيص موجود بكثرة في الصور النبوي، وهو الذي سماه علماء البلاغة (المجاز) وهو عندهم "اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة"، يرى أن التشخيص في البيان النبوي يحمل على الحقيقة لا على المجاز[1].

2- التجسيم الفني:

التجسيم بمعناه الفني هو أن يتخيل الأديب الفنان للأمر المعنوي أو العرض صورة معينة يرسمها في ذهنه ويصير هذا الأمر في خياله جسما، على وجه التشبيه والتمثيل والاستعارة، وهو لن يتخيل هذا التخيل ويجسم هذا التجسيم، إلا إذا كان ذهنه مجسما والتجسيم موجود بشكل أساسي في طبيعته.

إن التجسيم الفني طبيعة خاصة في بعض الأدباء الفنانين، وكلما كانت هذه الطبيعة متمكنة من نفوسهم، وكلما كان خيالهم الفني ابتكاريا فعلا، كانت تعابيرهم في مجال التجسيم أشد جاذبية وأعمق تأثيرا ويتجلى فيها الفن والجمال.وأداته هي الاستعارة بمعناها البلاغي فهي إحدى أدوات التجسيم فإنه لا يجوز لنا أن نحمل التجسيم الناتج منها على معناه الحقيقي، وإنما نحمله على معناه الفني الخيالي الاستعاري.ومن أدوات التجسيم هي الاستعارة، الكناية، التشبيه، والتشبيه التمثيلي[2].

[1]- صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، ص 135.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص ص 101-102.

فالقرآن الكريم قد جعل التجسيم بمعناه الفني سمة من سمات التصوير فيه وقاعدة من قواعده، ونورد مثالا واحدا على ما نقول وهو قوله: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾[1]، فالذنوب جسمت هنا كأنها أحمال (يحملون أوزارهم) وهذا الأحمال تحمل على الظهور زيادة في التجسيم[2].

من خصائص التصوير الفني هو التجسيم الفني:

3- التجسيم الفني:

التجسيم الفني هو السمة الثانية من سمات التصوير في البيان النبوي،... هو تجسيم المعنويات المجردة، وإبرازها أجساما أو محسوسات على العموم وهناك نوعان من التجسيم الفني:

أ- **النوع الأول:** تجسيم من قبيل تشبيه الأمر المعنوي المجرد بأمر محسوس مجسم، على وجه التشبيه والتمثيل، وهو كثير الوقوع في البيان ومنه كل التشبيهات الفنية التي جاءت بها حالة المعاني والحالات صورا وهيئات، وقد قسم البلاغيون التشبيه باعتبار طرفية إلى أربعة أقسام:

1- تشبيه محسوس بمحسوس.

[1]- سورة الأنعام: الآية 31.

[2]- سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص80.

2- تشبيه معقول بمعقول.

3-تشبيه معقول بمحسوس.

4-تشبيه محسوس بمعقول[1].

وطرفا التشبيه يكونان إما:

أ- **حسيان:** المراد بالحسي ما يدرك هو أو مادته بإحدى الحواس الخمس الظاهرة، ومعنى هذا أنهما قد يكونان من المبصرات، أو المسموعات أو المذوقات، أو المشمومات أو الملموسات[2].

ب- **عقليان:** والمراد بالطرفين العقلين أنهما لا يدركان بالحس بل بالعقل وذلك كتشبيه العلم بالحياة، والجهل بالموت، فقد شبه هنا المعقول بمعقول، أي أن كلا منهما لا يدرك إلا بالعقل.

ت- **مختلفان:** وذلك بأن يكون أحدهما عقليا والآخر حسيا كتشبيه المنيت بالسبع، والمعقول هو المشبه، والمحسوس هو المشبه به، وكتشبيه العطر بالخلق الكريم، فالمشبه وهو العطر محسوس بالشم، والمشبه به وهو الخلق عقلي.

[1]- صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصور الفني عند سيد قطب، ص ص 146-147.

[2]- عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم البيان، دار النهضة العربية، 1986م، ج2، ص 66.

والتشبيه الحسي الذي يدرك هو أو مادته بإحدى الحواس الخمس يدخل فيه أو يلحق به التشبيه الخيالي، وهذا الأخير هو مركب من أمور كل واحد منها موجود يدرك بالحس، لكن هيئة التركيبة ليس لها وجود حقيقي في عالم الواقع، وإنما لها وجود خيالي.

ولكن لأن أجزاء التشبيه الخيالي موجودة تدرك بالحس ألحق بالتشبيه الحسي، لاشتراك الحس والخيال في أن المدرك بهما صورة لا معنى[1].

وفي البيان يهدف الرسول الأكرم –صلى الله عليه وسلم– إلى تقريب المعاني الكبرى المتعلقة بعالم الغيب والكون والإنسان والحياة إلى أذهان المخاطبين وقلوبهم عن طريق تشبيه المعقولة بالأشياء المحسوسة، وفي هذا العدد يقول الطيبي عن التور بشتى:"والمعاني إذا ارتفعت عن مدارك الأفهام، واستعلت عن معارج النفوس لكبير شأنها، صيغت لها قوالب من عالم الحس حتى تتصور في القلوب، وتستقر في النفوس"، ولذلك يكثر تشبيه المعقول بالمحسوس في البيان النبوي[2].

إذا كان تشبيه الحسي بالحسي يقرر المضمون، ويؤكد اللازم على ما علم فإن إخراج المعاني العقلية في صورة الحسي أشد تمكينا لها في النفس وتقريرا في البيان، لأنها بذلك الوجه تشخص وتتجسم، حتى تقع تحت الحاسة ونوعا خياليا، يظل يدور بها مدار المعرفة حتى تأنس وتسكن وهذا الضرب من البيان هو أوسع أضرب التشبيه استعمالا لأنه أتمها

[1]– المصدر نفسه، ص ص 68–69.

[2]– محمد رفعت زنجير، دراسات في البيان النبوي، دار اقرأ بدمشق، 2007م، ص 71.

فائدة وألصقها بحاجة الإنسان إلى نقل محصوله من المعاني، ليتصورها المخاطبون على شكلها[1].

إن الناظر لأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم يرى فيها المعاني العميقة المترامية الأطراف التي تحمل في طياتها الأغراض والأساليب ومعالجة خبايا النفس والمجتمع، فالصورة التشبيهية تعمل على وجود تلك المعاني والإحساسات الرائقة لما يحدثه في نفس من رواج فكري واكتمال نفسي واسع المجال... وهو أسلوب بليغ عظيم الأثر، عرفه العرب في كلامهم وتوسلوا بهذا اللون البياني في رسم صورهم الفنية وإثبات ما يريدون إثباته من معنى عميق[2].

جعل سيد قطب التجسيم سمة للتصوير فهي تجسيم من قبيل تشبيه الأمر المعنوي المجرد بأمر محسوس مجسم، على وجه التشبيه والتمثيل فهو كثير الوقوع في الآيات التصويرية في القرآن الكريم، ومنه كل التشبيهات الفنية القرآنية التي جيء بها لإحالة المعاني والحالات صورا وهيئات[3]، فقد جاء القرآن الكريم حاملا الكثير من هذا اللون البلاغي البديع، وخاطب الله به العرب، خاطبهم بما عرفوه وألفوه ومارسوه ومن ذلك يقول الله

[1]– كمال عز الدين، الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، ص ص 150–151.

[2]– محمد السيد عبد الرازق موسى، التشبيه التمثيلي في الحديث النبوي (من خلال صحيح البخاري)، مكتبة فلسطين للكتب المصورة، ص 4.

[3]– ينظر: صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني سيد قطب، ص 146.

تعالى:

﴿مَثَلُالَّذِينَاتَّخَذُوامِندُونِاللَّهِأَوْلِيَاءَكَمَثَلِالْعَنكَبُوتِاتَّخَذَتْبَيْتًاوَإِنَّأَوْهَنَالْبُيُوتِلَبَيْتُالْعَنكَبُوتِلَوْكَانُوايَعْلَمُونَ﴾[1].

فهذا تشبيه تمثيلي رائق يبين حقيقة هؤلاء الأولياء الذين اتخذهم الكافرون من دون الله، فهم قد اتخذوا الأوثان درعا وقوة ينتصرون بهم من دون الله وهي من الضعف بحيث لا تستطيع أن تنصر نفسها، فكانوا كالعنكبوت التي اتخذت من خيوطها الواهية الضعيفة وهي تعتقد أن ذلك البيت يحميها.

وإنه تصوير عجيب صادق لحقيقة القوى في هذا الوجود، الحقيقة التي يغفل عنها الناس أحيانا، فيسوء تقديرهم لجميع القيم ويفسد تصورهم لجميع الارتباطات، وتختل في أيديهم الموازين، ولا يعرفون إلى أين يتوجهون، ماذا يأخذون وماذا يدعون.

والصورة التشبيهية تعمل على إيجاد فضاء رحب من الخيال وهو خيال طلق، ينطلق في حرية مطلقة الحدود والحواجز، ولكنها في نفس الوقت حرية خيالية مقيدة بدرجة معينة من تناسب الواقع والبيئة والحياة بأسرها وهذا حتى لا ينقلب الخيال إلى وهم لا يفرق بينه وبين أوهام أو خيالات المجانين الذين يحلقون في عالمهم بخيال مطلق يفتقد الهوية والخيوط المترابطة المتناسقة[2].

[1]– سورة العنكبوت: الآية 41.

[2]– محمد السيد عبد الرازق موسى، التشبيه التمثيلي في الحديث النبوي (خلال صحيح البخاري)، ص ص 7.6.

ومنه قوله تعالى:

﴿مَّثَلُالَّذِينَكَفَرُوابِرَبِّهِمْۖ عْمَالُهُمْكَرَمَادٍاشْتَدَّتْبِهِالرِّيحُفِييَوْمٍعَاصِفٍلَّايَقْدِرُونَمِمَّاكَسَبُوا عَلَىٰشَيْءٍ﴾[1]،

فأعمال الكفار هنا هي أمور معنوية مصورة في صورة حسية مجسمة، حيث تحولت إلى كومة رماد اشتدت بها الرياح فذهبت بددا، والذي دل على أنه تجسيم من قبيل التشبيه والتمثيل، أداتا التشبيه (مثل) و(الكاف)[2]، فالصورة مجسمة ورد كثيرا في القرآن الكريم، وتفشت في الحديث النبوي الشريف بكثرة واستمدها من كتاب الله عزوجل، نعطي على سبيل مثال في الحديث الآتي نرى النبي صلى الله عليه وسلم قد رسم صورة واقعية للتأكيد على التراحم بين المسلمين يقول رسول الله عليه وسلم: "ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى"، فقد اتخذ من الجسد أداة للتصوير وبحثا للخيال، فربط بين جماعة المؤمنين والجس، والمشبهوالمشبه به مفردان غير مركبين ولكن وجه الشبه مركب من حالة الترابط والتكامل التي تجعل الأجزاء كلها تعمل متساندة حتى إذا طرأ خلل على جزء واحد منها تأثرت به سائر الأجزاء، فاعتمد تجسيم من قبيل التشبيه والتمثيل في رسم الصورة، حيث أدى دورا فعالا في إبراز عنصر الجمال في التعبير، قال القاضي عياض:"فتشبيه المؤمنين بالجسد الواحد تمثيل صحيح،

[1]– سورة إبراهيم، الآية 18.

[2]– صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، ص 147.

وفيه تقريب للفهم وإظهار للمعاني في الصور المرئية، وفيه تعظيم حقوق المسلمين والحض على تعاونهم وملاطفة بعضهم بعضا"[1].

وفي هذا الحديث الشريف يبرز التجسيم الفني بشكل واضح ومتعدد الصور، عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب، وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة، لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر".

يقول الطيبي:"أعلم أن هذا التشبيه والتمثيل في الحقيقة وصف لموصوف اشتمل على معنى معقول صرف لا يبرزه عن مكنونه إلا تصويره بالمحسوس المشاهد وهذا هو تجسيم المعنويات المجردة، وإبرازها في أجسام محسوسة، إن كلام الله المجيد له تأثير في باطن العبد وظاهره، وإن العباد متفاوتون في ذلك، فمنهم من له النصيب الأوفر من ذلك التأثير، وهو المؤمن القارئ، ومنهم من لا نصيب له البتة، وهو المنافق الحقيقي، ومنهم من تأثر ظاهره دون باطنه، وهو المرائي، أو بالعكس وهو المؤمن الذي لم يقرأه، وإبراز هذه المعاني وتصويرها في المحسوسات ما هو مذكور في الحديث، ولم نجد ما يوافقهاويلائمها أقرب ولا أحسن ولا أجمع من ذلك، لأن الناس إما مؤمن أو غير مؤمن، والثاني إما منافق صرف أو

[1]– محمد السيد عبد الرزاق موسى، التشبيه التمثيلي في الحديث النبوي، ص 35.

ملحق به، والأول إما مواظب على القراءة أو غير مواظب عليها، فعلى هذا قس الأثمار المشبه بها، ووجه التشبيه في المذكورات مركب منتزع من أمرين محسوسين طعم وريح"[1].

النوع الثاني: من أنواع التجسيم هو تجسيم المعنويات على وجه التصيير والتحويل

لقد كان البلاغيون القدماء هم الذين بينوا النوع الأول من التجسيم وهو تشبيه المعنوي بمحسوس، مع أنهم سموه تشبيها وليس تجسيما فإن الفضل يعود إلى سيد قطب في اكتشافه هذا النوع من التجسيم، إذ لم يفطن له أحد من قبل، وهو أكثر صلة وأشد ارتباطا بفكرة التصوير من النوع الأول، فإن الأمر المعنوي المجرد هنا صار صورة حسية مجسمة، وتحول إلى هذه الصورة بالتخييل الحسي.

والأمثلة على هذا النوع كثيرة جدا في القرآن الكريم نذكر منها:

قوله تعالى: ﴿يَوْمَتَجِدُكُلُّنَفْسٍمَّاعَمِلَتْمِنْخَيْرٍمُّحْضَرًاوَمَاعَمِلَتْمِنسُوءٍتَوَدُّلَوْأَنَّبَيْنَهَاوَبَيْنَهُأَمَدًابَعِيدًا﴾[2].

فالصورة ها صارت صورة مجسمة، ومادة محسوسة، فهو إذا كان خيرا يحضر ويهيأ بانتظار صاحبه، وإذا كان سوءا يحضر كذلك، ولكن صاحبه يتمنى أن تفصله عنه الفواصل، حتى لا يراه أو يقترب منه.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَهُمْيَحْمِلُونَأَوْزَارَهُمْعَلَىٰظُهُورِهِمْ﴾[3]، فالذنوب هنا مجسمة، فهي أحمال وتحمل على الظهور زيادة في التجسيم.

---

[1]– محمد رفعت زنجير، دراسات في البيان النبوي، ص 72.

[2]– سورة آل عمران: الآية 30.

[3]– سورة الأنعام: الآية 31.

وقوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَاالَّذِينَآمَنُوادْخُلُوافِيالسِّلْمِكَافَّةً﴾[1]، فالإسلام وهو المعنوي صار هيئة مجسمة له باب يدخل منه.

ومن أمثلة على هذا النوع من التجسيم في الحديث النبوي نجد:

منها قوله رسول الله عليه وسلم:"الإيمان قيد الفتك"، فأن الأمر المعنوي المجرد هنا صار صورة حسية مجسمة، فالإيمان تلك العقيدة الدينية القائمة بالقلب، يجسمه الرسول عليه السلام في صورة القيد، ليؤكد بذلك قيمة في عصمه صاحبه من التعدي الجائر على الدماء التي حرم الله سفكها إلا بحقها، والنفس دسيسة الشيطان في جسم الإنسان، توسوس إليه أن القتل شجاعة، والظلم عظمة، والتعدي مهابة، والإيمان روح الله في قلبه، يجزم له أن القتل جريمة والظلم كبيرة، والتعدي منكر، فيقمع نفسه أن تتردى في الجحيم بهذه الجرأة، كما يعوق القيد صاحبه عن السعي إلى غاية لولا القيد لانطلق إليها، ولما كان القيد يعوق عن مطلق الغاية خيرها وشرها، لم يشبه به الإيمان إلا مقيدا بالإضافة إلى الفتك الذي هو شر غاية، والخير والشر ضدان، ولا يدفع الشر أو يعوق عنه إلا الخير في جانب المشبه وهو الإيمان ولزيادة تقرير اتحاد الطرفين أكد التشبيه وأجمل، فلا أداة ولا وجه الشبه في هذه العبارة الموجزة الحكيمة[2].

[1]– سورة البقرة: الآية 208.

[2]– ينظر: كمال عز الدين، الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، ص 154.

ومنه قوله عليه الصلاة والسلام:"الحياء نظام الإيمان"، قال الرضي"والمراد أن الحياة يجمع خلال الإيمان كما يجمع السلك فرائد النظام، لأن الإنسان الكثير الحياء يحجم عم مواقعة المعاصي، ومطاوعةالمغاوي إذا قل حياؤه تفرق جماع إيمانه فأشبه السلك في أنه إذا انقطع تهافتت خرز نظامه...".

فنرى هذه الكيفية النفسية والخلق الكريم، الذي هو من المعاني المجردة قد تجسم بالتشبيه البليغ المؤكد بحذف الأداة والمجمل بحذف الوجه في صورة العقد، انتظمت حياته حول سلكه، ليتقرر كالمشاهد المحس ما للحياء من أثر صالح في الحياة، لأنهما شقيقا مادة واحدة، فمكارم الإسلام ينتظمها الحياء، ولا خلق لمن لا حياء له، والجرأة على الذنب مزلق وليس من السهل للقدم المنزلقة أن تقف دون غايتها إلا بعاصم يحسبها أو رادع يكفها، فإذا لم ينزعها الحياء السابق، ولم يردعها العقاب العائق، ارتكبت من الشر ما زينه الشيطان، فحرمت من الخير ما أعد من الأمان لأهل الإيمان، وصانع هذا يقول له الرسول عليه السلام:"إذا لم تستح فاصنع ما شئت"[1].

ومنه تتجلى جمالية التجسيم في تلك القفزة الخالية التي تنقل غير الحسي إلى حسي يربط البعيد وبالقريب، وتحويل الغامض إلى الواضح وتقاس هذه الجمالية بمدى طاقة التخيل لدى المبدع والمتلقي لأن النص الأدبي فن أداته اللغة بشحناتها النفسية.

4-التناسق الفني:

[1]- كمال عز الدين، الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، ص ص 154-155.

إن التناسق الفني يبلغ الذروة في أسلوب البياني، فهو أسلوب متناسق ألفاظه وجمله وتراكيبه، وتتناسق صوره وظلاله، وتتناسق إيقاعاته وموسيقاه، وهذا التناسق يحسه كل قارئ للبيان النبوي بدرجات متفاوتة.

ومن بين الألوان التناسق في التصوير النبوي هي:

1- التنسيق في تأليف العبارات، بتخير الألفاظ ثم نظمها في نسق خاص.

2- الإيقاع الموسيقي الناشئ من الألفاظ المنظومة في النسق الخاص.

3- النكات البلاغية التي تضمنها الأسلوب النبوي باختيار ألفاظ مناسبة في السياق.

4-التسلسل المعنوي بين الأغراض في سياق البياني، والتناسب في الانتقال من غرض إلى آخر.

5-التناسق النفسي بين الخطوات المتدرجة في بعض النصوص والخطوات النفسية التي تصاحبها[1].

من الأمثلة على التناسق الفني في البيان النبوي:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى"، وقد سرت في الحديث موسيقى هادئة تتناسب طبيعة الموضوع ورقته ولينه، فيبعث التواد والتراحم في النفس

[1]- ينظر: صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، ص ص 154-156.

فالتراحم أمر قلبي إيماني، والتواد أمر حسي حركي يظهر في التزاور ونحوه، والتعاطف فيه التفاعل والمعاونة، فسمعنا أصواتا تتهادى ألفاظها وعبارتها إلى القلب في سهولة وانسياب، وموسيقاها لا صخب فيها ولا خفوت، فالكلمات تتعاطف في عطف لغوي "تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم" تتألف مقاطعها وتتناسق أصواتها، وقد شاع في جو المشهد صوت قوي يثير الانتباه من أثر تداعي بنيان الجسد استجابة لبعضه، وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم " تداعى"، ونلاحظ الإيقاع الداخلي للكلمتين السهر والحمى فالسهر وعدم النوم ناشئ من وجود الألم الذي يتضافر مع السهر لإيحاد الحمى، فهذا التنسيق للكلمات والعبارات الخالصة من الغرابة والتنافر قد جعلها مؤثرة من عدة أوجه دفعة واحدة مع أنها لا تعطي إلا حقيقة واحدة، مما جعل التصوير في نقله للمعاني يربط بدقة ومهارة بين أجزاء العبارة، وبين العبارة وما يجاورها من عبارات بروابط الشرط والصلة وحروف العطف[1].

وإذا نظرنا إلى الحديث النبوي، نجد دقة التصوير وإصابة المعنى، فعندما كان المراد تصوير المؤمنين مع بعضهم البعض في تعاون وتآلف، اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم من الجسد أداة للتصوير، لأن الجسد يمثل الروح التي تبعث في الإنسان الحياة، والجسد يمثل سريان المشاعر والأحاسيس، وذلك من أسمى الأهداف التي أراد النبي صلى الله عليه وسلم إثباتها.

[1]– محمد السيد عبد الرازق موسى، التشبيه التمثيلي في الحديث النبوي، ص 35–36.

وصورة تصويرية أخرى مستوحاة من البنيان والإشارة باليد لقوله صلى الله عليه وسلم:"المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا، وشبك بين أصابعه"، فقد اتخذ من البنيان أداة للتصوير وبعثا للخيال، وهذا الاستهلال (المؤمن للمؤمن) يثير الذهن ويحرك العاطفة، وكأنه جعل اللفظين متلاصقين في تجاوز وتلاحم، ليرسم تلاصق البنيان وتلاحمه فيما بينه ثم تأتي الصورة الحسية للبنيان وهو يقف في رسوخ يشد بعضه بعضا، وكلمة (البنيان) مع ما فيها من أصوات وحروف وحركة مد الألف تعطي جرسا قويا وقد زاد من شدته وقوته، البناء الصوتي لـ (يشد) لأن المراد بعث الصلابة والقوة في الصف الإسلامي لتكون هذه هي صورة المؤمنين مع بعضهم... ويربط النبي صلى الله عليه وسلم هذا المعنى الذي يريده بتمثيل آخر يظهر في حركة صامته (وشبك بين أصابعه)فهذا التمثيل الحركي[1].

عندما تكون أدوات الصورة في يد المبدع، فإنه يستطيع أن يوظفها في مهارة وتمكن لأداء عرضه، وإبراز فكرته، بل يستطيع بإحساساته ومشاعره أن تصويره على الأشياء من حوله فيضع من التناقضات نسقا مرئيا متراصا في تلاصق صميم يعمل على بعث عواطف النفس وتحركها من مكانها، ذلك لأن أنواع الصور تتفاعل داخل النص الواحد[2]"لتؤدي

[1]– ينظر : محمد السيد عبد الرازق موسى، التشبيه التمثيلى في الحديث النبوي، ص 36.

[2]–المصدر نفسه ، ص 34.

مهمتها في نقل عواطف الأديب إلينا، ومن ثم انبعاث عواطفنا الكامنة والمقابلة لهذه الخيالات أو الصور، فإذا صدقت عاطفة الأديب، واقعيا أو فنيا، كان الخيال رائعا ومؤثرا"[1].

[1]– أحمد بسام، الصورة بين البلاغة والنقد ط1، المنارة دمشق 1984م، ص 29، نقلا عن محمد السيد عبد الرازق موسى، التشبيه التمثيلي في الحديث النبوي، ص 35.

الفصل الثاني

جمالية التصوير الفني في الحديث النبوي الشريف

المبحث الأول: نبذة عن مفهوم الحديث النبوي وراوي الحديث

أولا: مفهوم الحديث النبوي

الحديث لغة :الجديد من الاشياء , و الحديث : الخبر يأتي على القليل و الكثير

و الجمع : أحاديث :كقطيع و أقاطيع ,و هو شاذ على غير قياس[1].

كلمة "الحديث" تعني في اللغة العربية ما يقابل القديم، وتطلق أيضا على الكلام الذي يخاطب به الناس بعضهم بعضا.

ولكنه في اصطلاح علماء الحديث النبوي يطلق على ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، من قول أو فعل أو تقرير أوصفة، فالكلمات التي تغرى إلى الرسول (ص) قولا، والتصرفات التي تنسب إليه فعلا، وسكوته على تصرفات الآخرين إقرار، والمعاني التي تتلبس به وصفا، كل ذلك يسمى في الاصطلاح حديثا.

والفرق بين الحديث والحديث القدسي، فالحديث ما قد أوضحته لك من قول الرسول وفعله وإقراره وصفاته، أما الحديث القدسي فهو كل قول يضيفه النبي (ص) إلى الله عزوجل ويحكيه عنه، فصياغة ألفاظه وتراكيبه من النبي عليه الصلاة والسلام،

- [1] ابن منظور، لسان العرب، ج2، مادة (ح. د. ث)، ص 133.

ولكن العزو فيه إلى الله عزوجل، ولو كانت صياغته من الله مباشرة لكان قرآنا، ولو لم يكن العزو فيه الى الله على سبيل الحكاية عنه لكان حديثا مطلقا[1].

نستنتج ان الحديث النبوي هو ماورد عن الرسول محمد بن عبد الله من قول او فعل او تقرير .

ثانيا: التعريف الإمام البخاري

هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي، أمير المؤمنين في الحديث، ولد يوم الجمعة بعد الصلاة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال، سنة أربع وتسعين ومائة (194هـ) ببخاري، ومات والده إسماعيل وهو صغير، فنشأ في حجر أمه يتيما، رحل في طلب العلم إلى أكثر من الأمصار، فقد رحل إلى بلخ، ونيسابور والري، وبغداد، والبصرة، والكوفة، ومكة، والمدينة، ومصر، والشام.

وقد كان البخاري يتمتع بذكاء فائق، عزيز النفس عفيفا، زاهدا عف اللسان، نبيل الشعور، شديد الورع، ومما يدل على ذلك قوله:"إني لأرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحدا".

ومن مشايخه الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه، ويحيى بن معين، وأبو نعيم الفضل بن دكين، ومكي بن إبراهيم البلخي...الخ.

[1]- محمد سعيد رمضان البوطي ,في الحديث الشريف و البلاغة النبوية ,دار الفكر ,دمشق ط1 ,ص 11-12 .

وأما الآخذون عن البخاري فأكثر من أن يحصروا وأشهر من أن يذكروا، وممن روى عنه الأئمة الأعلام: الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج صاحب "الصحيح"، وأبو عيسى الترمذي، وأبو عبد الرحمن النسائي...الخ.

و منأشهر مؤلفاته "الجامع الصحيح" الذي اقتصر فيه على الأحاديث الصحيحة دون غيرها، وله كتب أخرى منها: التاريخ الكبير، والتاريخ الأوسط التاريخ الصغير، وكتاب الكنى، والأدب المفرد...الخ.

وكانت وفاته ليلة عيد الفطر سنة 256هـ، بقرية خرتنك على فرسخين من سمر قند، رحمه الله تعالى[1].

[1]– ينظر: الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري، صحيح البخاري، تح: أبو عبد الله عبد السلام بن محمد عمر علوش، مكتبة الرشد، ناشرون، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط2، 2006م، ص 1–4.

المبحث الثاني: نماذج من أحاديث صحيح البخاري

الحديث1:

حدثنا عبد الله بن يوسف قال: أخبرنا مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول"[1].

في هذه الصورة التمثيلية تشهد حركة ملحوظة في كل جزئية من جزئياتها مع تصوير الحالة النفسية للنبي (ص)، حيث يعبر عن حادثة محسوسة، ومشهد منظور بالصورة محسة متخيلة لدى الصحابة فالحركة في هذه اللوحة حركة حسية حية لقوة نزول الوحي على النبي (ص)، حيث شبه نزول الوحي بصوت الجرس ووجه الشبه بينهما هو قوة الصوت لتقريب صورة نزول الوحي الذي هو أمر غريب على الصحابة ولم يألفوه في أسماعهم فناسب تقريبه لهذه الصورة استخدام وسيلة الجرس، وهي وسيلة محسوسة ألفها الناس في حياتهم فهذا التصوير يقرب الفهم لأذهانهم فقد نقلها هذا التخيل من المجرداللامحسوس الغيبي إلى صورة كأنه نحسه ونشاهده فهو يربط البعيد بالقريب، ويتحول الغامض إلى الواضح فجمالية هذه الصورة بمدى طاقة التخييل لدى المتلقي لأن البيان النبوي فن أداته اللغة بشحناتها النفسية

[1]– الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري، صحيح البخاري، ص 5.

وأما الصورة الثانيةأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول[1]، فهو يصور لنا الوحي عن طريق الالتقاء الشخصي فينتقل من الروحانية المحضة إلى الصورة البشرية، أي أن يأتي الوحي بصورة رجل، ويضاف إلى المشبه الإتيان الذي هو من خواص المشبه به فهي استعارة مكنية.

الحديث 2:

حدثنا يحيى بن بكير قال: حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: "أول ما بدئ به الرسول صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه–وهوالتعبد– الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء...وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي"[2].

في هذا التصوير البياني حيث يسمو التعبير إلى أعلى درجات الكمال، فإن إخراج المعاني العقلية في الصورة الحسية أشد تمكينا لها في النفس وتقرير في البيان، لأنها بذلك

[1]– ينظر: بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني، عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري، عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العملية بيروت لبنان، ج 1، ص ص 43–44.

[2]– أحمد العيني، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، ج1، (كتاب بدء الوحي)، المصدر نفسه، ص 88.

الوجه تتشخص وتتجسم حتى تقع تحت الحاسة وقوعا خاليا[1]، والمشبه هو الرؤيا، والمشبه به هو فلق الصبح فهنا تشبيه المعقول بالمحسوس هو إدراك المرئي بحاسة البصر بالتخييل الحسي ووجه الشبه هو الظهور البين الواضح[2] الذي لا يشك فيه[3]، فهنا يصور لنا النبي (ص)الرؤيا الصادقة التي تأتي إلا لأصحابالعبادات و التقوى فقط، فهي حق ووحي من الله، لأن النبي إنما سمي نبيا، لأنه ينبئ عن عالم الغيب الذي لا تستقل العقول بإدراكه.

الحديث 3:

حدثنا الحميدي، عبد الله بن الزبير قال:حدثنا سفيان قال: حدثنا يحي بن سعيد الأنصاري قال: أخبرني محمد بن إبراهيم التيمي أنه سمع علقمة بن وقاص الليثي يقول :سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صل الله عليه و سلم يقول : "وإنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو إلى امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه"[4].

[1]– ينظر:كمال عز الدين، الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، ص ص 150– 151.

[2]– أحمد العيني، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، ج1، (كتاب بدء الوحي)، المصدر نفسه، ص 110.

[3]– ينظر: حمزة محمد قاسم، منار القارئ شرح مختصر صحيح البخاري، تح: عبد القادر الأرناؤوط، دار البيان دمشق، ج1، 1990، ص 34.

[4]– أحمد العيني، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، ج1، (كتاب بدء الوحي)(باب كيف كان بدء الوحي إلى الرسول(ص)، ص 43.

في هذه الصورة التشبيهية يصور لنا النبي (ص) النيات الخالصة فلا تصح العبادات الشرعية إلا بوجود النية فيها، سواء أكانت من المقاصد كالصلاة والصوم ونحوها، أو من الوسائل كالوضوء والغسل، فإذا وقعت العبادة بدون نية كانت باطلة، ولكل امرئ ما نوى أي وإنما يعود على المسلم من عمله ما قصده منه، فإن عمل الدنيا يتحول بحسن النية إلى عبادة فنتائج الأعمال بنياتها إلا المحرمات فإن حسن النية لا يبرر اقتراف المعصية، فالحرام حرام ولو حسنت نية فاعله، ثم ختم نبي الله صلى الله عليه وسلم حديثه هذا بضرب الأمثلة لبيان تأثير النيات في الأعمال، واختلاف النتائج باختلافها فالصورة "إلى دنيا يصيبها"[1] هنا تشبيه، فهو الدلالة على مشاركة أمر لأمر في المعنى أو وصف من أوصاف أحدهما وقصد بهجرته منفعة دنيوية وغرضا شخصيا من مال أو تجارة أو زوجة حسناء فلا ينال من هجرته إلا تلك المنفعة التي نواها، ولا نصيب له من الأجر والثواب، لأنه لا هجرة له شرعا وإنما هي رحلة عادية، فهجرته حاصلة لأجل الدنيا غير مفيدة له في الآخرة، فكأنه شبه تحصيل الدنيا بإصابة الغرض بالسهم بجامع حصول المقصود[2].

فهنا جاء التصوير النبوي من اجل تأثير النيات في الأعمال ,فلا تصح عبادة إلا بالإخلاص لله ,و موافقة الشريعة .

[1]– حمزة محمد قاسم، منار شرح مختصر صحيح البخاري، ج1، ص 146.

[2]– ينظر: أحمد العيني، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، ج1، ص 68.

الحديث 4:

حدثنا عبد الله بن موسى قال: أخبرنا حنظلة بن أبي سفيان عن عكرمة بن خالد عن ابن عمر رضي لله عنهما قال: قال رسول لله صلى الله عليه وسلم: "بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة و الحج و صوم رمضان"[1].

يصور لنا النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الصورة المكنية الأمر المعنوي وهو الإسلام بصورة حسية مجسمة هو البيت، فهي الاستعارة بالكناية، لأنه شبه الإسلام بمبنى له دعائم فذكر المشبه وطوى ذكر المشبه به، وذكر ما هو من خواص المشبه به وهو البناء ويسمى هذا استعارة ترشيحية.

يصور لنا نبي الله صلى الله عليه وسلم في هذه الصورة الفنية الأمرالمعنوي بصورة حسية متخيلة فهو تشبيه معقول بمحسوس حيث تظهر هذه الصورة على أنها استعارة تمثيلية، لأنها وقعت في حالتي الممثل والممثل به، ويجوز أن تكون الاستعارة تبعية، بأن تقدر الاستعارة في (بني)، والقرينة في (الإسلام)، شبه ثبات الإسلام واستقامته على الأركان الخمسة ببناء الخباء على الأعمدة الخمسة، ثم تسري الاستعارة من المصدر إلى الفعل، وأن تكون مكنية بأن تكون الاستعارة في (الإسلام) والقرينة في (بني) على التخييل، بأن يكون شبه الإسلام بالبيت فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة، ثم خيل كأنه بيت على المبالغة، ثم أطلق الإسلام على ذلك المخيل ثم خيل له ما يلازم الخباء المشبه من البناء، ثم أثبت له ما

هو لازم البيت من البناء على الاستعارة التخيلية، ثم نسب إليه ليكون قرينة مانعة من إرادة الحقيقة[1]، وفي قوله: "إقام الصلاة" كناية عن الإتيان بها بشروطها وأركانها[2]، فتبدو الصورة المتخيلة في ذلك البناء من حيث حسنه وجماله الذي يعتمد على الركائز الأساسية التي تحافظ على سلامته وبنيانه.

الحديث 5:

حدثنا عبد الله بن محمد قال: حدثنا أبو عامر العقدي قال: حدثنا سليمان بن بلال عن عبد الله بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الإيمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الإيمان"[3].

يبدو تصوير النبي في هذا المشهد مجسما حيث شبه أمرا معنويا هو الإيمان ولوازمه من خصال ووصفات بالشجرة الكبيرة التي تحمل شعبا كثيرة، كل شعبة منها تتفرع إلى فروع، فالإيمان هو أصل الشجرة بما في ذلك جذوعها وسيقانها، ومكملات الإيمان هي السبعون شعبة، في هذه الصورة التشبيه التمثيلي جاء على سبيل الاستعارة المكنية، حيث حذف المشبه به وهو الشجرة وترك أحد لوازمه هي الشعبة أي الغصن على سبيل المجاز والحياء غصن من أغصان هذه الشجرة، لأن الإيمان الأصل والأعمال الإيمانية فروع منه، وكان

[1]– ينظر: محمد رفعت زنجبير، دراسات في البيان النبوي، دار أقرا، بدمشق، ط1، 2007م، ص 285.

[2]– أحمد العيني، عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري، ج1، ص 200.

[3]– المصدر نفسه، ج1، ص 204.

يستعين عليه أفضل الصلوات في تصويره على صورة الطبيعة الجامدة والمتحركة، ليحقق إقناع العقل وإمتاع النفس، وهنا الصورة قامت بتجسيم الإيمان على وجه التصوير والتحويل أي أن الأمر المعنوي المجرد وهو الإيمان صار صورة حسية مجسمة وهي الشجرة لتظل الصورة ماثلة في الأذهان حاضرة أمام الأعين[1].

فهذا التصوير يقوم على تجسيد المعاني و إبرازها في صورة محسوسة .

الحديث 6:

حدثنا محمد بن المثنى قال: حدثنا عبد الوهاب الثقفي قال: حدثنا أيوب عن أبي قلابة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار"[2].

تتجلى في الحديث النبوي نكتة بلاغية في الربط بين الإيمان والطعام فالتصوير الأول (حلاوة الإيمان) فيه تجسيم أمر معنوي هو الإيمان بصورة حسية متخيلة وهي الحلاوة فهي حلاوة روحية ولذة قلبية، لا تعد لها لذة أخرى في هذا الوجود فقد شبه الإيمان بنحو العسل على سبيل المجاز، حيث حذف المشبه به وهو العسل وترك إحدى لوازمه هي حلاوة على

[1]– ينظر: أحمد العيني، عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري، ج1، ص 127.

[2]– أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار بن الكثير دمشق– بيروت ط1، 2002م،(كتاب الإيمان)(باب حلاوة الإيمان)، ص 14.

سبيل التخيل فهي استعارة مكنية تخييلية، أما التصوير الثاني (كما يكره أن يقذف في النار) وفي هذه الصورة التشبيهية طرفي التشبيه مذكوران، فالعود في الكفر هو المشبه، والقذف في النار هو المشبه به ووجه الشبه هو الألم الحاصل وكراهة القلب له فهم يكرهون العود إلى الكفر بعد أن هداه الله إلى الإسلام.

الحديث 7:

حدثنا إسماعيل قال: حدثني مالك عن عمرو بن يحي المازني عن أبيه عن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النارالنار ثم يقول الله تعالى: أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، فيخرجون منها قد اسودوا فيلقون في نهر الحياء أو الحياة شك مالك فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل، ألم ترى أنها تخرج صفراء ملتوية"[1].

فهذا التصوير الفني في البيان النبوي يبلغ أعلى درجات الإثارة الذهنية فهنا تشبيه معقول بمحسوس من باب التمثيل ليكون عيارا في المعرفة، وليس بعيار في الوزن، لأن الإيمان ليس بجسم يحصره الوزن أو الكيل، لكن ما يشكل من المعقول قد يرد إلى عيار المحسوس ليفهم[2]، فالنبي صلى الله عليه وسلم شبه خروج من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان من النار ونبات أجسادهم مثل نبات الحبة التي هي العشب النابتة في البراري على

[1]– أحمد العيني، عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري، ج1، (كتاب الإيمان)، ص 270–271.

[2]– المصدر نفسه، ص 275.

جانبي السيول بسرعة فالصورة الأولى هي سرعة نبات أجسادهم مثل سرعة نبات هذه الحبة بجانب السيل، والوجه الجامع بين الحبتين هو عدم الانتفاع بمقومات الحياة والنماء، فالحبة التي في القلب لم تنتفع بالإيمان الذي خالطها فلم تقدم أعمال صالحة ولا طاعات جليلة، وبالتالي لم تنموا وكذلك الحبة التي بجانب السيل لم تنتفع بمقومات الحياة من نهر جاري وسيول جارفة، وبالتالي لم تنمو، أما الصورة الثانية من تصوير أن هذه تخرج صفراء ملتوية، ثم تبلغ قمتها في الاستواء والحسن والنضارة، فكذلك نبات أجساد من خرج من النار وفي قلبه مثقال ذرة من الإيمان فهي تكتمل وتستوي، في قوله (كما تنبت الحبة) فيه تشبيه متعدد فهو التشبيه من حيث الإسراع، ومن حيث ضعف النبات[1]، ومن حيث الطراوة والحسن فالمعنى من كان في قلبه مثقال حبة من الإيمان فيخرج من ذلك الماء نظرا حسنا منبسطا متبخترا كخروج هذه الريحانة من جانب السيل صفراء متميلة.

الحديث 8:

حدثنا محمد بن عبيد الله قال: حدثنا إبراهيم بن سعد عن صالح عن ابن شهاب عن أبي أمامة بن سهل أنه سمع أبا سعيد الخدري يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

[1]– ينظر: عبد الرحيم ثابت، الظواهر البلاغية في الأحاديث النبوية، دراسة تطبيقية في كتاب عمدة القارئ، رسالة دكتوراه، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة.

"بينما أنا نائم رأيت الناس يعرضون علي وعليهم قمص، منها ما يبلغ الثدي ومنها ما دون ذلك، وعرض علي عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره"[1].

في هذا التصوير النبوي البليغ يبين النبي صلى الله عليه وسلم لقيمة وأهمية الدين الإسلامي حيث تقوم هذه الصورة التشبيهية على تجسيم أمر معنوي بصورة حسية ملموسة فهنا تتجلى جمالية التجسيم في ذلك التخيل الذي ينقل غير الحسي إلى حسي يربط البعيد بالقريب، وتحول الغامض إلى الواضح[2]، فالتجسيم وسيلة للتوضيح من أجل الإقناع والتأثير في المتلقي، حيث شبه الدين بالقميص، ووجه التشبيه الستر، وذلك أن القميص يستر عورة الإنسان ويحجبه من وقوع النظر عليها، فكذلك الدين يستره من النار ويحجبه عن كل مكروه فهو تشبيه بليغ.

الحديث9:

حدثنا مسلم بن إبراهيم قال: حدثنا هشام قال: حدثنا قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير"[3].

[1]– أحمد العيني، عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري، ج1، (كتاب الإيمان)، ص 276.

[2]– ينظر: المصدر نفسه، ص 279.

[3]– أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري (كتاب الإيمان) (باب أحب الدين إلى الله أدومه)، ص 21.

تظهر جمالية الصورة الفنية في هذا المشهد بتشبيه المعقول بمحسوس، حيث شبه زيادة ونقصان الإيمان بالأوزان الأجسام، بيانه أن الوزن إنما يتصور في الأجسام دون المعاني والإيمان معنى، ولكنه شبه الإيمان بالجسم، وترك إحدى من لوازمه وهو الوزن وحذف المشبه به وهو الأجسام على سبيل الاستعارة بالكناية، حيث أثبت أن للإيمان له معيار وميزان يزيد به وينقص على حسب تفاوت درجاته في قلوب الناس، وبيان منزلة الإيمان وفضله عند الله عزوجل[1]، فرسم النبي صلى الله عليه وسلم المشهد عن طريق تلك الكلمات المختارة للتعبير عن المعنى الذي يريده فتشهد هذه الصورة تناسق فني جميل في العبارات والإيقاع الناشئ من الألفاظ المنظومة في النسق الخاص، ويكاد الإيقاع يرتكز على ترديد جرس صوتي معين، أو نعمة واحدة، تأتي بأشكال وصيغ مختلفة من أبرزها التكرار في البيان النبوي حيث كرر (يخرج من النار) ثلاث مرات كذلك (لا إله إلا الله) ثلاث مرات وغير ذلك فيقصد به تفاوت الألفاظ وإعاتها في سياق التعبير[2] وهو يحقق وظيفتين فيه يوثق المعنى وتعمق دلالته وتتحقق به قيمة صوتية فنية تقرب هذا المعنى وتجسمه في نفس السامع ليكون أكثر قبولا.

الحديث 10:

[1]– ينظر: المصدر نفسه، ص 407.

[2]– ينظر: فائز طه عمر، (مقال بلاغة التشبيه في الحديث النبوي الشريف في صحيح البخاري)، مجلة جامعة تكريت للعلوم، المجلد 20، العدد 1، كانون الثاني، ص 51.

حدثنا أبو نعيم حدثنا زكرياء عن عامر قال: سمعت النعمان بن بشير يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات كراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا حمى الله في أرضه محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب"[1].

في هذا التصوير الفني في البيان النبوي تظهر الصورة واضحة التي رسمها النبي صلى الله عليه وسلم، في هذا التجسيم الفني حيث يعمل التخيل الحسي على جعل الحقائق أشد قربا للإنسان، في الصورة التشبيهية، حيث شبه النبي حال من يدخل في الشبهات بحال الراعي الذي يرعى حول المكان المحظور بحيث أنه لا يأمن الوقوع فيه، ووجه الشبه حصول العقاب، فمثل بالراعي إذا جره رعيه حول الحمى إلى وقوعه فيها استحق العقاب سبب الوقوع في الحرام فهذا تجسيم على وجه التشبيه ويسمى تشبيه ملفوف(فهو ما تعد طرفاه وأتى بالمشبهات في جانب على طريق العطف أو غيره مما يقتضي الانفصال، ثم يأتي بالمشبهات بها في الجانب الأخر)، لأنه تشبيه بمحسوس الذي لا يخفى حاله، شبه المكلف بالراعي والنفس بالبهيمة بالأنعام، والمشتبهات بما حول الحمى والمحارم بالحمى، وتشبيه تمثيلي باعتبار وجه الشبه، فقد صور النبي صلى الله عليه وسلم هذه اللوحة الفنية

[1]– أحمد العيني، عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري، ج1، (كتاب الإيمان) (باب فضل من أسترأ لدينه)، ص 459.

من محارم الله وحدوده ونواهيه بمحميات المرعى التي كانت تخصص للملوك ترعى فيها أغنامهم بحيث لا يقترب منها بقية الرعاة خشية الراعي فيها فيلحقهم العقاب[1]، أما الصورة : "ألا وإن في الجسد مضغة" أي قطعة لحم صغيرة بقدر ما يمضغ "إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب" حيث اتخذ من القلب أداة للتصوير وبحثا للخيال فالقلب من الناحية الجسمية هو العضو الرئيسي في الجسد، ومصدر الحياة لارتباط حركة الدم به، فكذلك هو في نظر الإسلام مصدر صلاح الإنسان وفساده من الناحية الروحية والدينية وهو الموجه لسلوك الإنسان وأعماله من الأقوال والأفعال فمتى كان القلب سليما من العقائد الخبيثة كالكفر والنفاق والإلحاد ومن الأمراض النفسية، عمرا بالإيمان والخوف من الله والحب في الله، صلحت أعمال واستقام سلوك الإنسان دينيا واجتماعيا والعكس بالعكس وهو معنى قوله: "إذا صلحت صلح الجسد كله" أي صلحت أعمال الجسد وسلوكه الظاهري ولهذا جاء في الحديث التالي "لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه"[2].

فهذا التصوير ينقل الواقع نقلا حقيقيا عن طريق الخيال وتجسد المعاني وإبرازها في صورة محسوسة تزخر بالحياة والحركة فكان ذلك أبلغ في رسوخها في النفس وتأكيدها في الأذهان.

الحديث 11:

[1]– ينظر: المصدر نفسه، ص 468.

[2]– حمزة محمد قاسم، منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، تح: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، تص: بشير محمد عيون، دار البيان دمشق، 1990م، ج1، ص ص 143–144.

حدثنا قتيبة حدثنا إسماعيل بن جعفر عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنها مثل المسلم فحدثوني ما هي" فوقع الناس في شجرة البوادي قال عبد الله: ووقع في نفسي أنها النخلة فاستحبيت، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله : "قال هي النخلة"[1].

يصور لنا النبي عليه أفضل الصلوات في هذه اللوحة الفنية مشهدا محسوسا حيث يقوم بتشبيه أمر محسوس بأمر محسوس فيبدأ بالمشبه به لإثارة الذهن بغموضه وخفائه وهي الشجرة، ثم يأتي بالمشبه ثانيا من أجل التشويق فاستخدام التشبيه المقلوب مبالغة لتلك الصورة التي تميز بها، فبدأ بسأل أصحابه عن الشجرة التي تشبه المسلم ليفيد التقرير ويثبت المعنى فعكس الصورة عندما قال: أنها مثل المسلم، مبالغة في الصورة الحقيقية التي تميز المسلم عن غيره، حيث اختيار الشجرة بلفظها ثم العدول عنها إلى لفظ النخلة فيه مزيد من التشويق وتصوير المعاني لترسخ في الأذهان وتزداد فهما وإيضاحا، فتظهر صورة الشجرة في الحديث الشريف بطول قامتها وارتفاعها في عنان السماء، وهي مع ذلك تضرب بجذورها في باطن الأرض في رسوخ وثبات، وهي متماسكة الأوراق دلالة على نضارتها ودوام كسوتها وثمرها والربط بين ذلك وبين هيئة المسلم في ثباته ورسوخ عقيدته وعلو همته

[1]– أحمد العيني، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، ج2، (كتاب العلم) (باب قول المحدث: حدثنا أو خبرنا وأنبأنا)، ص 19.

ومنزلته[1]، فالحال المسلم العجيب الشأن كحال النخلة في وجوه النفع والفائدة، وتصوير الأمر بهذه الصورة البديعة يترك في نفس السامع لا شك أثرا حيا.

الحديث 12:

حدثنا مسددا قال: حدثنا بشير قال: حدثنا ابن عون عن ابن سيرين عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه، ذكر النبي صلى الله عليه وسلم قعد على بعير وأمسك إنسان بخطامه أو بزمامه قال: "أي يوم هذا" فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه سوى اسمه؟ قال: "أليس يوم النحر" قلنا: بلى قال: "فإن دمائكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ليبلغ الشاهد الغائب فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه"[2].

في هذه الصورة العظيمة يصور لنا النبي صلى الله عليه وسلم عظمة تحريم دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم كحرمة اليوم الحرام في الشهر الحرام في البلد الحرام فهذا تشبيه أمر معنوي بأمر معنوي أي معقول بمعقول، وكرر ذلك على أسماعهم اهتماما بالمقام

[1]– ينظر: محمد السيد عبد الرزاق موسى، التشبيه التمثيلي في الحديث النبوي، مكتبة فلسطين للكتب المصورة، ص ص 13–14.

[2]– أحمد العيني، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، ج2، (كتاب العلم)، (كتاب قول النبي صلى الله عليه وسلم رب مبلغ أوعى من سامع)، ص 53.

وتعظيما للأمر، لأنهم كانوا يجهلونها، ويتهاونون بها ولهذا قدم السؤال لجلب الانتباه[1]، وتقريرا لما ثبت في نفوسهم ليبنى عليه ما أراد تقريره على سبيل التأكيد، ويستدعي اهتمامهم وشد أذهانهم بسؤاله عن اليوم هذا، وعن الشهر وعن البلد وذكرهم بحرمتها وحرمتها معلومة عندهم متقررة في نفوسهم وذكرها عليه الصلاة والسلام إنما توطئة لبيان حرمة دم المسلم وماله وعرضه[2] فلقد ساهم هذا التصوير في إضفاء صبغة جمالية تشكلت مع هذا التقابل المتناسق البديع في مقاربة تشبيهية بين صورتين وسمو الدلالة وعمقها الإيماني فينفس المتلقي ما يزيده تعلقا قلبيا بالعبادة.

الحديث 13:

حدثنا محمد بن العلاء قال: حدثنا حماد بن أسامة عن بريد بن عبد الله عن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا، فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجاذب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله

[1]– ينظر: المصدر نفسه، ص 57.

[2]– ينظر: محمد رفعت زنجير، دراسات في البيان النبوي، ص 159.

ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به"[1].

في هذا الحديث النبوي الشريف لوحة فنية حافلة بالألوان والحركات، حيث صار التجسيم عنصرا رئيسيا في تكوين المشاهد المرئية، إذ اعتمد التشبيه التمثيلي[2]، فالأول تشبيه المعقول بالمحسوس، والثاني تشبيه المحسوس بالمحسوس حيث شبه الهدى والعلم بالمشبه به الغيث الكثير، وعبر عنهما بمثل، ك، مثل والمعنى يتجسد في صورة محسوسة تزخر بالحياة والحركة في لوحة فنية جميلة حيث ضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثلا للشريعة وما جاء به من الدين بالغيث، فوقع الناس من ذلك على ثلاثة أصناف، فالمشهد الأول هو العالم العامل المعلم الذي أخذ الدين علمه وعمل بما فيه فأثمر العمل الصالح فهو كالأرض الطيبة الخصبة التي أخذت الماء وامتصته فأثمرت الخيرات، أما المشهد الثاني فهو العالم المعلم غير العامل الذي جمع العلم والدين ولم يثمر عملا صالحا فهو كالأرض الجدباء التي أخذت واحتفظت بالماء على سطحها فلم تنبت نباتا ولا تمرا ولكن الناس انتفعوا بالماء، أما المشهد الثالث فهو جاهل الذي لا يسمع ولا يعمل كالأرض السبخة أو الملساء التي تقبل الماء ولم تنفع أحدا، وتظهر اللوحة في جمال فني بديع حاملة تلك الأراضي بزينة بعضها

[1]– أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري(كتاب العلم)(باب فضل من علم وعلم)، ص ص 32–33.

[2]– العمراني الإدرسي عزيز، التجسيم والتشخيص في الحديث النبوي من خلال كتاب الصورة الفنية في الحديث النبوي "للدكتور أحمد ياسوف"، شبكة ضياء للمؤتمرات والدراسات، ص 15.

وجذب الآخر، وسباخ الثالث فيرسخ المعنى في النفوس عن طريق ذلك التمثيل الرائع، وكأنه يخطه بيده ليرسمه في الواقع لتعيش معه الأفهام في تجسيد قائم.

في نهاية الحديث تجسيم ثان في قوله: "لم يدفع بذلك رأسا فهي كناية عن الإعراض والجمود أو عدم الانتفاع أو النفع[1]، فهي ترسم صورة المعرض في ذلة ومهانة حتى يظهر ذلك في خفض رأسه.

الحديث 14:

حدثنا سعيد بن عفير قال: حدثني الليث قال: حدثني عقيل ابن شهاب عن حمزة بن عبد الله بن عمر أن ابن عمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "بينما أنا نائم أتيت بقدح لبن فشربت حتى أني لأرى الري يخرج في أظفاري، ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب" قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: "العلم"[2].

تتجلى جمالية التجسيم في هذه الصورة التشبيهية بتجسيم أمر معنوي وهو العلم بأمر حسي هو اللبن حيث يصور لنا نبي الله صلى الله عليه وسلم هذه الرؤية بأنه فسرها رؤية اللبن بالعلم فالمشهد الأول "فشربت حتى أني لا أرى الري يخرج في أظفاري" وهنا الري لا يرى ولكنه شبه بالجسم حيث يكمن التجسيم الثاني في رؤية الري الذي هو أثر اللبن من

[1]– ينظر: محمد السيد عبد الرازق موسى، التشبيه التمثيلي في الحديث النبوي، مكتبة فلسطين للكتب المصورة، ص ص 17-18.

[2]– ابو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري(كتاب العلم)(باب فضل العلم)، ص 33.

الماء على سبيل الاستعارة يخرج من أصابعي، ويسيل على أظفاري من شدة الري فهذا يصور لنا أهمية العلم وفضله بالنسبة للإنسان[1] وتصور اللبن بالعلم لكونهما مشتركين في كثرة النفع بهما وأنهما سبب الصلاح، فاللبن غذاء الإنسان وسبب صلاحهم وقوة أبدانهم، والعلم سبب الصلاح في الدنيا والآخرة وغذاء الأرواح، صورة اللبن في النوم تدل على السنة والفطرة والعلم والقرآن لأنه أول شيء يكاله المولود من طعام الدنيا، وبه تقوم حياته كما تقوم بالعلم حياة القلوب فهو يناسب العلم من هذه الجهة[2]، في الصورة التالية، "ثم أعطيت فضلي عمرو بن الخطاب" وهو فضل عمرو رضي الله عنه وتفوقه في علوم الشريعة لأنه شرب من ذلك اللبن الذي شرب منه النبي (ص) فدل ذلك على اختصاصه وامتيازه بقدر زائد من العلم.

الحديث 15:

حدثنا مسدد قال حدثنا يحي عن عبيد الله قال أخبرني نافع عن أبي عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اجعلوا في بيوتكم من صلاتكم ولا تتخذوها قبورا"[3].

في هذا التصوير يصور لنا النبي صلى الله عليه وسلم البيت الذي لا يصلى فيه لا تجد فيه الحياة الحقة الكريمة بل أنه موحش مغرق في الوحشة شبهها بالقبور إذا لم نصل

[1]– ينظر: حمزة محمد قاسم، منار القارئ شرح مختصر صحيح الجزء الأول، ص ص 183– 184.

[2]– أحمد العيني، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري (كتاب العلم)، ص 131.

[3]– أحمد العيني، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري (كتاب الصلاة)(باب كراهية الصلاة في المقابر)، ج4، ص 148.

فيها ولم نقرأ فإذا امتنع الإنسان عن ذلك فقد حول بيته إلى مقبرة فهنا تشبيه محسوس بمحسوس وبناء العبارة على حذف أداة التشبيه يزيد في تقرير تحول البيت الذي لا يصلى فيه ولا يقرأ القرآن قبرا ويؤكد وجوب النهي عن جعله كذلك، وكلما تأكد النهي تأكد الامتثال وإننا إذاتتطالعنا الوحشة والانقباض في المقابر، فسوف يستولي علينا الشعور بالحزن[1]، لتشمل دائما هذا الحديث لنعرف ما قرره بالتشبيه المؤكد المجمل من شأن بيوتنا، ومن جنايتنا عليها وعلى قلوبنا إذا أخليناها من قراءتنا وصلاة إنه تشبيه يحمل معنى التقبيح والتنفير للبيوت التي هذه مشابكها، ومعنى التوبيخ والتقصير لمن يكون صاحبها وساكنها.

يعمل هذا التصوير إلى تقريب المعنى إلىأذهان المخاطبين عن طريق التنفير .

الحديث 16:

حدثنا خلاد بن يحي قال حدثنا سفيان عن أبي بردة بن عبد الله بن أبي بردة عن جده عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك صلى الله عليه وسلم أصابعه"[2].

فقد اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم من البنيان أداة للتصوير وبعثا للخيال، حيث استهل بالمشبه به المؤمن للمؤمن وذلك ليثير الذهن ويحرك العاطفة، وكأن جعل اللفظين

[1]– ينظر: كمال عز الدين، الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، ص 148.

[2]– أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري(كتاب الصلاة)(باب التشبيك الأصابع في المسجد وغيره)، ص 128.

متلاصقين في تجاور وتلاحم، ليرسم تلاصق البنيان وتلاحمه فيما بينه، ثم تأتي الصورة الحسية للبنيان وهو يقف في رسوخ يشد بعضه بعضا، وكلمة البنيان مع ما فيها من أصوات وحروف وحركة مد الألف تعطي جرسا قويا وقد زاد من شدته،والبناء الصوتي لـ (يشد) لأن المراد بعث الصلابة والقوة في الصف الإسلامي لتكون هذه صورة المؤمنين مع بعضهم فهو تشبيه أمر معنوي وهو تجاور وتلاحم بصورة حسية مجسمة وهي البنيان الذي يشد بعضه بعضا في تماسكه وشدته، ويربط النبي (ص) هذا المعنى الذي يريده بتمثيل آخر يظهر حركة صامتة (شبك بين أصابعه) إشارة لبيان صورة التلاحم والترابط بين المسلمين[1]فالإشارة عبرت عن هذا الربط وزادته تثبتا في النفس لأجل تقريب الفكرة في الأذهان وترسيخ مدلولها.

وفي هذه الصورة كما قال الطيبي: "قال النووي فيه تعظيم حقوق المسلمين بعضهم بعض، وحثهم على التراحم والملاطفة والتعاضد في غير إثم ولا مكروه، وفيه جواز التشبيه وضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الإفهام[2].

فالتصوير بهذه الصورة يقرب المعاني إلى أذهان السامعين و تزيدها ثباتا.

الحديث 17:

[1]– ينظر: محمد السيد عبد الرزاق موسى، التشبيه التمثيلي في الحديث النبوي (من خلال صحيح البخاري)، ص 36.

[2]– محمد رفعت زنجبير، دراسات في البيان النووي، دار اقرأ، بدمشق، ط1، 2007م، ص 149.

حدثنا إبراهيم بن حمزة قال حدثني ابن أبي حازم والدراوردى عن يزيد عن محمد بن إبراهيم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسا ما تقول ذلك يبقى من درنه قالوا لا يبقى من درنه شيئا قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحوا به الله الخطايا[1].

في هذه الصورة مشهد فني رائع في التمثيل عن طريق الخيال، حيث جعل المعقول كالمحسوس وشبه على وجه التمثيل، حال من يحافظ على أداء الصلوات الخمس ويقع في صغائر الذنوب، فيظهر من ذلك القذر الإثمي بفعله لتلك الصلوات، بحال من كان على باب بيته نهر، فيقوم بالاغتسال فيه كل يوم خمس مرات، فتزول عنه الأوساخ ويصبح نقي البدن، ومن التناسق الفني الجميل في الحديث أن يجعل المعصية وسخا ودرنا تتقزز النفس منه وتنفر، والصلوات الخمس كنهر جار يغتسل فيه المرء خمس مرات كل يوم،وقد بدأ الحديث الشريف في بيانه بتقديم المشبه به في صورة واضحة جلية تظهر الهدف والمقصود منه وقد ساعد ذلك على نقل الخيال إلى واقع حسي مشاهد، وقد زاد من ذلك البدء بهمزة الطلب والمجيء بفعل الرؤية البصرية (أرأيتم)، وفي ذلك تهيئة للمتلقي لجميع شتات ذهنه، ويخلص سمعه وعقله لكل ما يلي، فهمزة الاستفهام هنا لها وظيفتان إحداهما مادية حددها البلاغيون بأنه طلب الفهم من السامع،والثانية معنوية يجدها المتأمل في البيان المتذوق له وهي تنبيه المتلقي وتهيئته لتلبية المطلوب له.

[1]– أحمد العيني، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، ج5، (كتاب مواقيت الصلاة)(باب الصلوات الخمس كفارة)، ص 15.

فهذا التصوير الفني في البيان النبوي يبلغ أعلى درجات الإثارة الذهنية والاستحواذ على الجنان، وذلك بمخاطبة حواس الإنسان وإظهار جزئيات الصورة ومحاسنها في هيئة ملموسة بالجوارح تاركة أثرها العميق في النفس والقلب، فيعمل هذا التخيل الحسي على جعل الحقائق أشد قربا للإنسان[1].

جاء هذا التصوير بغرض تأثير في نفوس السامعين و ترغيبها في المحافظة على الصلوات الخمسة .

الحديث 18:

حدثنا حفص بن عمر قال حدثنا يزيد بن إبراهيم قال حدثنا قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اعتدلوا في السجود ولا يبسط ذراعيه كالكلب وإذا بزق فلا يبزق بين يديه ولا عن يمينه فإنه يناجي ربه"[2].

في هذا التصوير النبوي يرسم لنا مشهدا في انبساط المسلم لذراعيه في السجود كانبساط الكلب وشرود ذهنه وتهيئه للنوم ما يعني أن المصلي الذي يقوم بهذا الفعل كأنه يتهيأ للنوم وما يسبكه من خمول وكسل وهنا تشبيه محسوس بمحسوس حيث شبه انبساط ذراعي المسلم كالانبساط ذراعي الكلب.

[1]– محمد السيد عبد الرزاق موسى، التشبيه التمثيلي في الحديث النبوي، ص 29.

[2]– أحمد العيني، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري،ج5، (كتاب مواقيت الصلاة)(باب إثم من فاته العصر)،ص 19.

وفي هذا الوصف نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن هذه الكيفية المكروهة في السجود، واستحباب الاعتدال في السجود لا يفترش ولا ينقبض لأنه أبلغ في تمكين الجبهة من الأرض وكراهية الافتراش لأنه من هيئات الكسالى، وهدفه تنفير المسلم من هذه الوضعية[1]، فالتصوير أدى إلى وضوح المعنى ورسوخه في الذهن.

الحديث 19:

حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الذي تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله"[2].

في هذا المشهد يصور لنا النبي عليه أفضل الصلوات صورة لترك الصلاة مثله كمثل فاقد لأهله وماله فهنا تشبيه محسوس بمحسوس ترك الصلاة كفقد الأهل والمال، أي من أخر صلاة العصر حتى خرج وقتها لغير عذر شرعي فكأنما أصيب في أهله وماله، فالمتأمل يرى في هذا التصوير ويتخيل أن سباقا بين العبد ووقت الصلاة، وعليه أن يدركه،

[1]– ينظر:حمزة محمد قاسم، منار القارئ شرح مختصر صحيح البخاري، ج2، ص 205.

[2]– أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري(كتاب مواقيت الصلاة)(باب إثم من فاتته العصر)، ص 143.

فربط بين المشبه والمشبه به بأداة التشبيه كأن ليترك المجال للمتلقي في معرفة وجه الشبه الذي هو الندم والحسرة، وإثبات الخيال في النفس بصورة المشبه به، فاختيار عليه الصلاة والسلام فالأهل والمال زينة الحياة الدنيا وتطمئن النفس بوجودهما فكيف إذا فقد فجأة، حاله تحال من فاتته الصلاة، فهنا يبين لنا النبي عليه أفضل الصلوات الأثر العظيم. الذي سيلحقه إذا فاتته هذه الصلاة، فتدل هذه الصورة العظيمة على الترهيب من المعصية والتحذير من الوقوع فيها[1].

فهنا جاء التصوير النبوي من أجل الترهيب و التنفير من الوقوع في المعصية .

الحديث 20:

حدثنا الحميدي قال حدثنا مروان بن معاوية قال حدثنا إسماعيل عن قيس عن جرير قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم: "فنظر إلى القمر ليلة يعني البدر فقال إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب، قال إسماعيل افعلوا لاتفوتنكم"[2].

[1]– ينظر: حمزة محمد القاسم ،منار القارئ شرح مختصر صحيح البخاري، ج2، ص 80.

[2]– أحمد العيني، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، ج5، (كتاب مواقيت الصلاة)(باب فضل صلاة العصر)، ص 41.

في هذا التصوير الفني الجميل يصور لنا النبي عليه أفضل الصلوات هذه الصورة الرائعة بأسلوب التشبيه الذي يقرب صورة للمتخيل أن بإمكانه رؤية الله عزوجل كما يرى القمر ليلة البدر في كماله وتمامه فهنا تشبيه الرؤية بالرؤية ومعناه ترون ربكم رؤية ينزاح معها الشك كرؤيتكم القمر ليلة البدر لا ترتابون فيه ولا تمترون[1]، فالرؤية هنا بمعنى العلم الذي لا شبهة فيه ولا شك يعتريه[2]، أي ستعلمون ثواب ربكم وأنه الخالق الأحد الذي لا شريك له كما يعرفون حقيقة الهلال برؤيته في ليلة البدر، فهنا تجسيم بأمر معنوي غيبي وهو رؤية الله بصورة حسية مجسمة هي رؤية القمر، كلاهما مشترك في الرؤية، وإن كان هناك فرق بين رؤية الله ورؤية القمر، وبما أن رؤية القمر يسهل على الإنسان ليلا، هكذا يسهل على الإنسان رؤية الله ومعرفته عبر مظاهره ولا يظلم بعض الناس بعضا في التعرف عليه، ووجه الشبه سهولة الرؤية والتعرف على الحقيقة إذا كان الإنسان بصيرا[3]، وهذا لترغيب المتلقي في العبادة بأداء هاتين الصلاتين وفيه طلب لين ورفق من خلاله يتم استمالة قلوب المستمعين فتنقاد طائفة لتلقي الرسالة، وزيادة شرف الصلاتين وذلك لتعاقب الملائكة في وقتيهما ولأن وقت صلاة الصبح وقت لذة النوم، والقيام فيه أشق على النفس من القيام في غيره، وأما صلاة العصر وقت الفراغ عن الطاعات وإتمام الوظائف والمسلم إذا

[1]– ينظر: محمد رفعت زنجير، دراسات في البيان النبوي، ص 50.

[2]– الشريف الرضي، المجازات النبوية، تح: طه محمد الزيتي، منشورات مكتبة بصيرتي، ص 51.

[3]– مقال: محمد إبراهيم خليفة شوشتري وعلي أكبر نور سيده، (دراسة صورة التشبيه في الكلام النبوي الشريف)، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، فصيلة محكمة، العدد السابع، ربيع 1391هـ، 2012م، ص 30.

حافظ على هاتين الصلاتين بما فيها من التثاقل والتشاغل فإنه ينال الرؤية محققة لا شك فيها، فقد جاء التصوير النبوي من أجل الترغيب في أدائها والحث على المحافظة عليها[1].

يهدف النبي صلى الله عليه و سلم من خلال هذا التصوير إلى المحافظة على هاتين صلاتين.

الحديث 21:

حدثنا حجاج بن منهال قال حدثنا شعبة عن محمد بن زياد سمعت أبا هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أما يخشى أحدكم أو ألا يخشى أحدكم إذا رفع رأسه قبل الإمام أن يجعل الله رأسه رأس حمار أو يجعل الله صورته صورة حمار"[2].في هذه الصورة الفنية يبرز النبي صلى الله عليه وسلم مشهدا مقززا بصورة بشعة وهي عقاب من الله لمن يقوم بهذا الفعل وهو سبق المأموم للإمام في رفع رأسه في الركوع والسجود، حيث جعل الله الإمام ليؤتم به في الصلاة ومتابعة المأموم للإمام واجبة ولا يجوز له مسابقته، وإنها مخالفة عظيمة استحق فاعلها عقابا عظيما فصورته لم تعد آدمية والصورة تقوم على تشبيه محسوس بمحسوس، حيث بدأها عليه الصلاة والسلام بالتأكيد على قدرة الله عزوجل على مسخ رأس هذا المذنب إلى رأس حمار، ويزيد التشبيه تأكيدا حذف أداة التشبيه فصبحت الصورة التشبيهية حقيقية أكيدة ماثلة للعيان، ونلاحظ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عمد

[1]– ينظر: أحمد العيني، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، ج5، (كتاب مواقيت الصلاة)، ص 44.

[2]– أحمد العيني، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، ج5، (كتاب الآذان)(باب إثم من رفع رأسه قبل الإمام)، ص 223.

إلى اختيار الرأس الذي يوجد به جميع ملامح الإنسان التي له ذاته وما يتعلق بها، وهذه الذات بكل ما فيها من ملامح هي محل اعتزاز للإنسان وفخره بنفسه، وأي شيء يصيبها يسبب له الحزن والألم، فيكف إذ حولت هذا الرأس بكل ما فيها من ملامح إلى رأس حمار لذلك كرر عليه الصلاة والسلام لفظة "الرأس" في قوله "رأسه رأس" للتهكم والسخرية والتركيز على هذا الجزء من الجسم، ثم التأكيد على بشاعته وتشوهه، هذه الصورة ترسم في مخيلتنا ذلك الرأس الكبير من الأذنين الطويلتين بالإضافة إلى الصوت القبيح وصفات الغباء والبلادة التي يتصف بها الحمار، ويزيد الصورة التشبيهية بشاعة أن يكون الرأس رأس حمار والجسد جسد إنسان، وإن هذه الصورة المقززة التي تحمل كل صفاتومعاني البشاعة لتدعو كل من سابق الإمام فرفع قبله في الصلاة تدعوه إلى التفكير في الحال الذي ينتظره عندما يقوم بهذا الفعل في صلاته، فيسارع إلى التوبة وتركه[1].

فهنا جاء االتصوير النبوي من اجل التنفير هذا العمل .

الحديث 22:

حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا يحي قال حدثنا شعبة قال حدثني أبو التياح عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل حبشي كأن رأسه زبيبة"[2].

[1]– ينظر: عفاف بنت أحمد العبدلي، "التشبيه بالحيوان في الحديث النبوي"، رسالة ماجستير في البلاغة، إشراف أحمد الظهار، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طيبة، 2010م، ص 209.

[2]– أحمد العيني، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، ج5، (كتاب الآذان)(باب إقامة العبد والمولى)،ص 227.

يبين التصوير النبوي هنا صورة تحقير لشأن العبد ووصفه رأسه بالزبيبة إما لصغره، وإما لأن شعر رأسه مققط كالزبيبة[1]، فهنا تشبيه تمثيلي في الحقارة وبشاعة الصورة وعدم الإعتداد بها، وهذا التصوير الدقيق يرسم في رؤوس المسلمين صورة لا تنسى لطاعة الوالي كلما نظروا إليه اقترنت صورته بها، حيث يريد الرسول صلوات الله وسلامه عليه أن يبين المقياس الحق للوالي الذي يجب له السمع والطاعة، دون النظر إلى اعتبار آخر، فقد مثل لها النبي عليه السلام بأدناها افتراض وجود، فقال: "إن استعمل حبشي" ولما كان العبد قد يرد لونه على غير السواد قيده بهذه النسبة ليؤكد سواده، ثم أوغل في هذا التأكيد بعبارة التشبيه التي تبين مقدار ما وصل إليه هذا العبد من السواد وتجعد الشعر فقال: "كأنه رأس زبيبة"، ورود الأداة التي ربطت بين محسوسين، فهنا تشبيه محسوس بمحسوس على وجه التشبيه والتمثيل[2].

فيدل هذه الصورة العظيمة على الترهيب من المعصية والتحذير من الوقوع فيها.

[1]– ينظر: محمد رفعت زنجير، دراسات في البيان النبوي، ص 104.

[2]– ينظر: كمال عز الدين، الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، ص ص 148–149.

الخاتمة

الخاتمة:

و نستخلص جملة من الأسس الجمالية والفنية التي تبرز عبقريته صلى الله عليه وسلم، وبراعته الفائقة في اختيار ألفاظه ومراعاته الفروق الدقيقة بين معاني الكلمات، مع قدرته على التعبير عن المعاني الكثيرة بعبارات تتسم بالإيجاز الشديد والكثافة الدلالية والسمو في المعاني، مما يدل على موهبة فذةتشعر القارئ والسامع على السواء لكأنه أمام لوحات فنية ممتعة.

وفي الأخير توصلنا إلىأهم النتائج :

1-يهدف النبي (ص) في البيان النبوي إلى تقريب المعاني إلى أذهان المخاطبين والاستحواذ على قلوبهم عن طريق تشبيه الأشياء المعقولة بالأشياء المحسوسة وذلك عن طريق الخيال.

2-للتشبيه وظيفة في إبراز معاني في هيئة مجسمة وصورة حية واقعية.

3- للتشبيه أغراض كثيرة وفوائد عديدة لكن الغرض الأساسي منه هو التأثير في النفس، وإثارة اللذة، والتشويق فيها بجمال الأسلوب، وحسن التصوير المعاني المراد التعبير عنها.

4- وردت الصور الاستعارية والمجازية والكناية كصورة جزئية داخل التشبيه فهي تعمل على تجسيد المعاني المجردة وإبرازها في صورة محسوسة ونحملها إلى معناها الفني الخيالي.

5- ورود أدوات التشبيه متنوعة (مثل، الكاف، كأن) في الصور التشبيهية كالهيئات المركبة.

6- جاءت الأدوات الاستفهامية في التشبيه لتقريب حقيقة غائبة والإقناع بها، ورود همزة استفهام في التشبيه لغرض التشويق والترغيب.

7- مدى تأثر النبي صلى الله عليه وسلم في بيانه بالتشبيهات القرآنية.

8-التشبيه أسلوب من أساليب البيان قديم قدم التعبير ويعد أصل الصور البيانية .

9-التشبيه يعد من أصول التصوير البياني، ومصادر التعبير الفني، ففيه تتكامل الصورة وتتدافع المشاهد.

10- اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم الصفات التي تتخذها الصورة التشبيهية أشكالها البلاغية المختلفة والمتميزة التي تستطيع عبرها تصوير الحقائق الفكرية.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم برواية ورش ابن نافع .
2. ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب، دار صادر، بيروت ، ط3، 1414هـ .
3. أحمد العيني، عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري، تح: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العملية بيروت لبنان.
4. أحمد رضا، متن اللغة، دار مكتبة الحياة ، بيروت (1958 – 1960م) .
5. بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، تح: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، كتاب الإيمان.
6. جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، ط3، 1992.
7. الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري، صحيح البخاري، تح: أبو عبد الله عبد السلام بن محمد عمر علوش، مكتبة الرشد، ناشرون، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط1–ط2، 2006م–2002م.
8. حمزة محمد قاسم، منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، تح: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، تص: بشير محمد عيون، دار البيان دمشق، 1990م.

9. الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح: محمد خلف الله أحمد ومحمد زعلول سلام، دار المعارف بمصر، ط3.

10. الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط3، 2009م.

11. سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق بيروت، ط3، 1983م.

12. الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، 1983م.

13. الشريف الرضي، المجازات النبوية، تح: طه محمد الزيتي، منشورات مكتبة بصيرتي.

14. صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، دار الشهاب باتنة، 1982م.

15. ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، مح: أحمد الحوفي، دار نهضة مصر، ط2، القسم الثاني (في الصناعة المعنوية).

16. عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم البيان، دار النهضة العربية، 1986م، ج2.

17. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، مطبعة المدني بالقاهرة ، ط3 (1413هـ-1992م).

18. كمال عز الدين، الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، دار اقرأ بيروت، ط1، 1984م.

19. محمد السيد عبد الرازق موسى، التشبيه التمثيلي في الحديث النبوي (خلال صحيح البخاري)، مكتبة فلسطين للكتب المصورة.

20. محمد السيد عبد الرزاق موسى، التشبيه التمثيلي في الحديث النبوي (من خلال صحيح البخاري)، مكتبة فلسطين للكتب المصورة.

21. محمد حسين علي الصغير، نظرية النقد العربي رؤية قرآنية معاصرة، الناشر دار المؤرخ العربي ط1، 1420هـ.

22. محمد رفعت زنجبير، دراسات في البيان النووي، دار اقرأ، بدمشق، ط1، 2007م.

23. محمد سعيد رمضان البوطي، في الحديث الشريف والبلاغة النبوية، دار الفكر، دمشق، الطبعة 1.

24. مصطفى صادق الرافعي، السمو الروحي الأعظم والجمال الفني في البلاغة النبوية، تح: أبي عبد الرحمن البحيري، ووائل بن حافظ بن خلف، دار البشير للثقافة والعلوم.

الرسائل الجامعية :

1. عفاف بنت أحمد العبدلي، "التشبيه بالحيوان في الحديث النبوي"، رسالة ماجستير في البلاغة، إشراف أحمد الظهار، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طيبة، 2010م

2. عبد الرحيم ثابت،" الظواهر البلاغية في الأحاديث النبوية، دراسة تطبيقية في كتاب عمدة القارئ"، رسالة دكتوراه، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة.

المجلات:

1. محمد إبراهيم خليفة شوشتري وعلي أكبر نور سيده، (دراسة صورة التشبيه في الكلام النبوي الشريف)، ، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، فصيلة محكمة، العدد السابع، ربيع 1391هـ، 2012م.

2. فائز طه عمر، (بلاغة التشبيه في الحديث النبوي الشريف في صحيح البخاري)، مجلة جامعة تكريت للعلوم، المجلد 20، العدد 1، كانون الثاني.

3.العمراني الإدرسي عزيز، (التجسيم والتشخيص في الحديث النبوي من خلال كتاب الصورة الفنية في الحديث النبوي "للدكتور أحمد ياسوف)، شبكة ضياء للمؤتمرات والدراسات.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
إهداء	
شكر وعرفان	
مقدمة	أ
تمهيد	5
الفصل الأول: مفهوم الصورة التشبيهية ووظيفتها وخصائصها الفنية.	
المبحث الأول: مفهوم الصورة لغة واصطلاحا	7
المبحث الثاني: مفهوم الصورة التشبيه ووظيفتها	18
البحث الثالث: خصائص التصوير الفني في الحديث النبوي	24
الفصل الثاني: جمالية التصوير الفني في الحديث النبوي الشريف	
المبحث الأول: نبذه عن مفهوم الحديث النبوي وراوي الحديث	42
المبحث الثاني: بيان جمالية الصورة التشبيهية في الحديث النبوي الشريف	45
الخاتمة	76
قائمة المصادر والمراجع	79
فهرس الموضوعات	84

ملخص:

اتسمت البلاغة النبوية بقدرتها على التصوير الموحي،و التشبيه الموضح، مما يدل على موهبة إلهية التي منحها الله تعالى لنبيه و ميزه بها عن سائر خلقه، لتبليغ الرسالة، بأحسن تعبير، و أسلوب تصويري بديع تدركه العقول و تتأثر به القلوب،و التصوير بهذا الأسلوب في البيان النبوي يبلغ الغاية من الجمال و الدقة،فهو يفيد المعاني تقريرا،ويزيدها تأكيدا، مالا يدع للمتلقي مجالا للنسيان.

Résumé :

La rhétorique du prophète était caractérisée par sa capacité à décrire la révélation et la similitude montrée, indiquant le don divin qu'Allah a donné à son prophète et l'a distingué du reste de sa création, pour transmettre le message, dans la meilleure expression, et méthode de peinture imaginative que les esprits comprennent et sont affectés par les cœurs. Dans la déclaration du prophète qui atteint la fin de la beauté et de l'exactitude, cela profite à la signification d'un rapport et augmente la confirmation, Il ne laisse aucune place pour le destinataire d'oublier.

Abstract :

The Prophet's rhetoric was characterized by its ability to depict the revelation, and the similarity shown, indicating the divine gift that Allah gave to his prophet and distinguished him from the rest of his creation, to convey the message, in the best expression, and an imaginative painting method that the minds understand and are affected by the hearts. In the statement of the Prophet reaches the end of beauty and accuracy, it benefits the meanings of a report, and increases confirmation, leaving the recipient room to forget.